لغز الوثائق السرية



محمود سالم

لغز الوثائق السرية

تأليف
محمود سالم

هنداوي

لغز الوثائق السرية

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٣٥٦ ٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

في الإجازة

دقَّ جرس التليفون في منزل «تختخ»، وكان المتحدث هو المفتش «سامي» الذي سأله: هل أنت وحدك تمامًا؟

تختخ: نعم.

المفتش: هذا يُناسبني جدًّا، وسوف أحضر إليك حالًا؛ لأني أريد أن أناقش معك مسألةً على جانبٍ كبيرٍ من الخطورة.

مضت نصف ساعة تقريبًا، وسمع «تختخ» صوت سيارة المفتش وهي تشق الطريق إلى منزلهم، ثم توقفت أمام الباب الذي أسرع إليه «تختخ»، ووقف يُرحِّب بالمفتش الطويل القامة، الذي عادةً ما يراه مبتسمًا، ولكنه بدا في ذلك الوقت متجهم الوجه، يعكس وجهه خطورة ما سيتحدث فيه.

جلس المفتش و«تختخ» معًا وجهًا لوجه، وشرب المفتش كوب الليمون المثلَّج الذي أعدَّه «تختخ»، ثم تنهَّد قائلًا: شكرًا لك، لقد كنت في أشد الحاجة إليه.

ابتسم «تختخ» قائلًا: لقد صنعته بنفسي.

المفتش: رائع جدًّا. إنك تُجيد كل شيء؛ من أجل هذا جئت لك، فهناك حادث سرقة يشغلني للغاية.

تختخ: حادث سرقة فقط؟ لقد ظننت أن الأمر أخطر من هذا بكثير.

نظر المفتش إلى «تختخ» بعينَين كحد السيف، ثم قال: إن بعض حوادث السرقة يساوي أفظع الجرائم، وخاصةً إذا كانت هذه السرقة مرتبطةً بالخيانة.

لم يتحدَّث «تختخ» ... فمضى المفتش يقول: سوف أروي لك كل شيء، ولكن لا بد أن تعدني ألَّا يعلم أحد غيرك بالأسرار التي سأرويها لك، مهما يكن هذا الشخص، حتى الأصدقاء الأربعة.

تختخ: إنني أعدك طبعًا.

المفتش: لقد سرق موظف في مكتب التصميمات الحربي وثائق على جانبٍ كبيرٍ جدًّا من الأهمية، وهذه لو تسرَّبت إلى الأعداء لكانت كارثةً كبيرةً للوطن.

سكت المفتش لحظات، ثم عاد يقول: ولأنني أثق في ذكائك وقدرتك؛ فقد قرَّرت إشراكك معي في البحث الذي أقوم به. وإنني أرجو أن نُوفَّق للوصول إلى حل هذا المشكل الخطير.

تختخ: هل هرب الموظف بالوثائق؟

المفتش: لا، إن الموظف في أيدينا.

تختخ: والوثائق؟

المفتش: جزء منها موجود؛ فقد سُرقت سبع وثائق وجدنا مع الموظف منها أربعًا، ولم نجد الثلاث الباقية، وهي التصميمات المهمة.

تختخ: وهل استجوبتم الموظف؟

المفتش: لم نستجوبه بعد، وقد لا نستطيع استجوابه لمدة طويلة.

تختخ: لماذا؟! أليس في أيديكم كما قلت الآن؟

المفتش: نعم، ولكنه مصاب بجرحٍ خطيرٍ في رأسه، وهو غائب عن الوعي منذ يومَين، والأطباء يقولون إن حالته خطيرة، وقد نتمكَّن من استجوابه بعد أربعة أيام أو خمسة، ولكن الوقت ثمين، كل يوم، بل كل ساعة تضيع؛ تُبعد الوثائق المسروقة عن أيدينا.

تختخ: إنني أُفضِّل أن أسمع تفاصيل الحادث كما وقع؛ حتى أتمكَّن من متابعة هذه المعلومات، فهل يمكن أن تروي لي القصة كاملة؟

المفتش: بالطبع. في صباح أمس الباكر عُثر على هذا الموظف واقعًا قرب شريط قطار المعادي، وقد أُصيب في رأسه إصابةً بالغةً أفقدته الوعي تمامًا. وقام رجال الإسعاف بنقله إلى مستشفى القوات المسلحة القريب من المعادي، حيث أُجريت له الإسعافات اللازمة، ولكنه لم يُفِق. وقال الأطبَّاء إنه ربما سقط من القطار وهو يسير بسرعة، فأُصيب، وبتفتيشه عرف رجال الشرطة اسمه وعنوانه، وعُثر في جيبه على الوثائق الأربع السرية. وقام رجال المباحث بتحري الأمر، فاتضح أن الموظف يعمل في مكتب التصميمات، وأن الوثائق التي معه جزء من سبع وثائق على أقصى درجةٍ من الأهمية والخطورة قد اختفت من المكتب، وبالطبع فإن الموظف قد سرقها لبيعها إلى الأعداء، ولا ندري حتى الآن لمن باع الوثائق الثلاث الناقصة، ولماذا لم يبِع الوثائق كلها؟

تختخ: هل هذا كل شيء؟

المفتش: تقريبًا، ولكن ربما كان يُفيدك في البحث أن تعلم أن للخزينة التي كان مودعًا بها الوثائق مفتاحَين؛ أحدهما مع مدير المكتب، والثاني مع الموظف اللص الذي سرق الوثائق.

تختخ: وما هو المطلوب الآن بالضبط؟

المفتش: المطلوب أن نصل إلى الرجل الذي اشترى الوثائق، والأهم من هذا أن نصل إلى الوثائق نفسها قبل أن تتسرَّب من البلاد.

تختخ: ولكن من الممكن أن تكون هذه الوثائق قد تسرَّبت فعلًا؛ فمن السهل إرسالها بالبريد، أو بواسطة أي مسافرٍ إلى خارج البلاد.

المفتش: هذا صحيح، ولكن منذ العثور على الموظف قمنا بعمل رقابة دقيقة على البريد الخارج من البلاد، وكذلك على المسافرين، ونحن نُرجِّح أن الذي اشترى هذه الوثائق ما زال في البلاد، وإن كان بالطبع سيحاول أن يهرب في أقرب فرصة …

تختخ: إنها قضية خطيرة حقًّا ومعقدة.

المفتش: فعلًا، ولهذا أرجو أن تكون حذرًا، وألَّا تقول لأي مخلوقٍ عمَّا دار بيننا، وأن تدرس المشكلة دراسةً دقيقة، وأية أسئلة تُفكِّر فيها اتصل بي غدًا، وسوف أحاول أن أجد إجابةً عنها.

بعد هذا الحديث قام المفتش، فأوصله «تختخ» إلى باب الحديقة حيث ودَّعه، ثم عاد إلى غرفته وقد تحفَّز للمغامرة، وأخذت تفاصيل المغامرة والأفكار تدور برأسه، وهو يُعيد تصوير الحادث في ذهنه … الموظف … ومفتاح الخزانة … والوثائق، والسرقة، والقطار ووقوع الموظف.

وأخرج «تختخ» دفتر مذكراته الصغير، وأخذ يُسجِّل فيه أهم النقاط والمعلومات …

وعندما حضر والداه، كان «تختخ» ما زال في غرفته، وعندما نزل للعشاء، بدا عليه التفكير العميق، فقال والده: إنك تبدو مشغولًا، فهل أنت منهمك في حل لغزٍ جديد؟ إن أصدقاءك ليسوا هنا، فأنت طبعًا لست مشتركًا في مغامرة … أليس كذلك؟

كاد «تختخ» يروي لوالده ما حدث هذا المساء، ولكنه تذكَّر تحذير المفتش «سامي» فقال: إنني أفكر في شيءٍ ما، ثم سكت فلم يسأله والده سؤالًا آخر …

عندما عاد «تختخ» إلى غرفته كانت بعض الأسئلة قد بدأت تدور بذهنه: هل من الممكن أن يسقط إنسان من نافذة قطار المعادي؟ وإذا سقط هل يصاب بمثل هذه الإصابة البالغة التي تُفقده الوعي أيامًا كاملة؟ سؤال آخر: هل هذا الموظف سيئ السمعة أم حسن

السمعة؟ وإذا كان سيئ السمعة وليس أمينًا، فكيف يُعطى مفتاح خزانة بها هذه الوثائق الهامة؟ ومدير المكتب هل هو رجل أمين؟ وهل له دخل في السرقة؟

وسؤال سادس ... متى سُرقت الوثائق؟ هل في نفس يوم الحادث أم قبلها بأيام؟ ثم لِم لَم تنكشف السرقة إلَّا عندما أصيب الموظف؟

أسئلة هامة لم يكن يملك عنها «تختخ» جوابًا، وهكذا استسلم للنوم وهي تدور برأسه.

أسئلة وأجوبة

في اليوم التالي بعد الإفطار أسرع «تختخ» إلى التليفون ليسأل المفتش ويحصل على أجوبة عن أسئلته، خاصةً وقد كان يريد أن يعرف المكان الذي عُثر على الموظف فيه؛ فهو لا بد أن يذهب إلى المكان لمعاينته. لحسن الحظ كان المفتش «سامي» في مكتبه، ودار بينهما حديث حصل «تختخ» منه على المعلومات التي يريدها.

إن الأطباء يُرجِّحون إصابة الموظف نتيجةً لوقوعه من القطار، وهو موظف أمين حسن السمعة، وكذلك مدير المكتب ... وكانت إجابة السؤال السادس الخاص بتاريخ سرقة الوثائق، أن مدير المكتب شاهدها في صباح اليوم السابق على حادث القطار الواحدة ظهرًا، أي إن الموظف سرقها في نفس اليوم بعد الواحدة، وأخذها معه لتسليمها لمن سيشتريها، ثم قابل المشتري في المساء، وربما في الليل فلا أحد يعرف متى أصيب في الحادث. أمَّا مكان الحادث فقد وصفه له المفتش. قال «تختخ»: هناك سؤال أخير ... هل فتشتم منزل الموظف المصاب؟

المفتش: نعم، لقد فتشنا منزل «وفيق» وهذا هو اسمه، ولكننا لم نعثر على شيءٍ يدل على صلته بأحد، وهو يسكن مع أسرته في شقةٍ صغيرة قرب ميدان التحرير.

تختخ: إنني أريد زيارة المكتب الذي تمَّت فيه السرقة، فهل هذا ممكن؟

المفتش: ممكن طبعًا، ولكننا لم نعثر هناك على شيءٍ يُساعد على جلاء غموض الحادث؛ فالخزينة ليس عليها بصمات، وفُتحت بمفتاحها الأصلي، ولم يُكسر الباب أو يُستخدم مفتاح مصطنع؛ فليس هناك من يفتح الخزينة إلَّا «وفيق» ...

تختخ: إنني أريد مقابلة مدير المكتب والحديث معه، فمتى أحضر إليك؟

المفتش: تعالَ بعد ساعتَين تقريبًا، وسوف أتصل به وأطلب منه انتظارنا حتى نحضر.

انتهت المكالمة، وأسرع «تختخ» إلى محطة القطار، وقد قرَّر أن يزور المكان الذي عُثر فيه على «وفيق» لعله يعثر على شيءٍ يُفيده في كشف الغموض المحيط بالحادث.

سار «تختخ» على قدمَيه مسافةً طويلة حتى استطاع العثور على المكان الذي سقط فيه «وفيق» من القطار، وأخذ ينظر بدقة إلى الأرض دون أن يعثر على أي شيء، سوى أكوام الزلط، وقد لاحظ فقط أن الشريط في هذا المكان يلتوي في منحنًى ضيِّق.

عاد «تختخ» إلى المحطة، وانتظر حتى وصل القطار، فأسرع يركبه، واختار مكانًا بجوار النافذة يستطيع منه أن يُشاهد المكان الذي سقط فيه «وفيق»، وقد لاحظ أن القطار اهتز بشدة وهو يمر بالمكان. وعندما وصل إلى القاهرة أخذ يتمشَّى في الطرقات، ثم اشترى نسخةً من جريدة الأهرام، وجلس في ميدان التحرير يقرأ ويُفكِّر حتى يحين الموعد المناسب للذهاب إلى المفتش «سامي»، وعندما اقتربت الساعة من الحادية عشرة، أسرع «تختخ» الخطو إلى مكتب المفتش «سامي» الذي استقبله مُرحِّبًا، ثم قدَّم له بعض الضباط من معاونيه، ثم خرجا حيث ركبا السيارة، وانطلقا إلى مكتب الوثائق السرية … وفي الطريق اتفقا على الأسئلة التي يُريد «تختخ» سؤالها للمدير.

استقبلهما الأستاذ «حافظ» مدير المكتب بترحابٍ شديد، ولكنه برغم ابتسامه كان يبدو عليه الحزن، وقد أسرع يسأل المفتش: هل عثرتم على شيء؟

المفتش: للأسف لم نعثر على شيءٍ يهدينا إلى حل غموض الحادث.

وأشار المدير إلى «تختخ» قائلًا: هل نستطيع الحديث أمام الأخ؟

قال المفتش: طبعًا، لقد قابلته في الطريق إليك، وقد جئت لأسألك بعض الأسئلة حول الحادث …

المدير: إنني تحت أمرك.

المفتش: ألم تشكَّ مطلقًا في «وفيق» قبل هذا الحادث؟

المدير: مطلقًا … لقد كان موظفًا مستقيمًا، وهادئًا ومحبوبًا من زملائه.

المفتش: إنني أريد مقابلة بعض زملائه.

دقَّ المدير الجرس، فظهر سكرتيره على الباب، فطلب منه استدعاء بعض موظفي المكتب من أصدقاء «وفيق»، وبعد دقائق حضر شخصان، وجلسا فقدَّمهما المدير إلى المفتش، وكذلك قدَّم المفتش إليهما. فقال المفتش: تعلمان طبعًا أن صديقكما «وفيق» قد أصيب في حادث وهو الآن تحت العلاج، ونريد أن نعرف منكما بعض المعلومات عنه …

وسكت المفتش لحظات، ثم عاد يقول: هل لاحظتما أي تغيير في تصرُّفاته في الأسبوع الأخير؟

تردَّد أحدهما لحظةً ثم قال: الحقيقة أنني لاحظت أنه كان مضطربًا في بعض الأحيان.

المفتش: هل هذا يعود إلى متاعب مع زوجته أو أولاده؟

الموظف: على العكس، إنه يعيش حياةً منزليةً سعيدة.

المفتش: وما هي مظاهر هذا الاضطراب؟

الموظف: كان يشرد كثيرًا، ثم ينظر إلى غرفة الوثائق، ويقوم فيذهب إلى الخزينة ثم يعود مرةً أخرى.

نظر المفتش إلى «تختخ» وبادله «تختخ» النظرات، ثم شكر المفتش الموظفين وانصرفا، وأخذ المفتش يتحدَّث إلى المدير، في حين أخذ «تختخ» ينظر إلى مكتب المدير، فوجد نسخةً من جريدة الأهرام مفتوحةً على صفحة الإعلانات الصغيرة، ولاحظ أن المدير قد وضع دائرةً باللون الأحمر على إعلان فيها. وعندما لاحظ المدير ما رآه «تختخ» قال مبتسمًا: إنني من هواة شراء التحف؛ فأنا رجل أعزب، وليس عندي أسرة أنفق عليها، لهذا أنفق أكثر دخلي على شراء التحف، وعندي منها مجموعة كبيرة ...

شكر المفتش المدير، ثم خرج مع «تختخ» الذي كان مستغرقًا في التفكير، فقال المفتش: واضح من تصرُّفات «وفيق» واضطرابه، وذهابه إلى الخزينة بضع مرات أنه اللص الذي سرق الوثائق.

تختخ: فعلًا، هذا واضح، ولكن السؤال: لماذا باع بعض الوثائق ولم يبِع بقيتها؟

المفتش: لعله اختلف مع الشاري على الثمن، فلم يبِع له سوى ثلاث وثائق فقط.

تختخ: ولماذا يسرق موظف مستقيم مثله، سعيد مع أسرته؟

المفتش: النفس البشرية لها أسرارها وخفاياها.

افترق «تختخ» عن المفتش عند محطة «باب اللوق»، حيث استقل القطار عائدًا إلى المعادي وهو ما زال مستغرقًا في تفكيرٍ عميق، ولكنه أفاق من أفكاره عندما توقف القطار بضع دقائق في الطريق لإصلاحات في القضبان، وكان قد لاحظ توقُّف القطار في نفس المكان في أثناء حضوره من المعادي، ولاحظ أن القطار يقترب جدًّا من المنازل في مكان التصليح، حتى إن الشرفة التي في المنزل المجاور له كانت تكاد تمس القطار، فأخذ ينظر إليها في استغراق.

تحرَّك القطار في طريقه، وما زال «تختخ» يغوص في أفكاره، حتى إن القطار كاد أن يغادر محطة المعادي دون أن ينزل منه، ولكنه استطاع في آخر ثانية أن يُسرع وينزل والقطار يتحرَّك في طريقه إلى حلوان.

لم تأتِ زيارة «تختخ» للقاهرة بمعلوماتٍ جديدة، فجلس قرب النافذة في غرفته، وفتح جريدة الأهرام وأخذ يقرأ، وتذكَّر الإعلانات الصغيرة، والدائرة الحمراء التي رآها على أحد الإعلانات عندما كان في زيارة الأستاذ «حافظ» مدير المكتب، وكان قد حدَّد مكانها في الركن العلوي من أول عمود في الصفحة، فقرأ الإعلان وكان نصه كما يأتي:

مطلوب تحف مصرية حديثة، اتصل برقم ٣٣٣ الأهرام.

لم يكن في الإعلان شيء ملفت للنظر، فطوى «تختخ» الجريدة واستغرق في خواطره.

كان في رأسه عدة أسئلة يحاول الإجابة عنها … أهمها هذا السؤال: إذا كان «وفيق» يُريد أن يسرق التصميمات ويبيعها إلى الأعداء، ألم يكن من الأفضل له أن ينقل صورةً منها ويترك الأصل في مكانه؟ إن هذا هو أسلوب اللص الذكي، أمَّا سرقة التصميمات نفسها، ففيه غباء شديد؛ لأنه يُعرِّضه للانكشاف. إن تصوير التصميمات مسألة سهلة، ولا تحتاج إلَّا إلى آلة تصوير وتنتهي المهمة في بضع دقائق. فلماذا أقدم «وفيق» على سرقة التصميمات؟ هل كان ينوي الهرب بعد السرقة؟ إن حياته العائلية السعيدة تستبعد فكرة الهرب.

لم يكن هناك شيء يهدي إلى حل غموض اللغز، بل إن سؤالًا آخر قفز إلى ذهن «تختخ» هو: ماذا كان يفعل «وفيق» في هذه الساعة المتأخرة من الليل في طريق المعادي؟ إنه يسكن في ميدان التحرير، فما الذي دفعه إلى ركوب قطار المعادي؟

أسئلة … أسئلة … أسئلة، وليست هناك إجابة واحدة، وقرَّر «تختخ» الذهاب مرةً أخرى إلى حيث وُجد «وفيق» قرب قضبان السكة الحديد. استقل دراجته وذهب إلى المكان، وقد أخذ معه عدسةً مكبرة.

انحنى «تختخ» على أكوام الزلط والحشائش التي سقط عليها «وفيق»، وأخذ يفحصها بدقة. كان يبحث عن آثار الدماء التي سالت من «وفيق» إثر وقوعه من القطار، ولكنه لم يعثر على قطرة دم واحدة أو أثر لأي دماء! شيء غير معقول أن يسقط شخص من القطار ويصاب في رأسه إصابةً بالغة، ثم لا تنزل منه قطرة واحدة من الدم … ووقف «تختخ» ينظر حوله وقد استغرقته الخواطر، وقرَّر أن يعود إلى منزله للاتصال بالمفتش «سامي».

ردَّ المفتش «سامي» على «تختخ» بمجرد أن دق جرس التليفون، وقال: أهلًا «تختخ»، هل عثرت على شيء؟

وردَّ «تختخ»: للأسف، ليس هناك سوى مزيدٍ من الأسئلة، مثلًا: ماذا كان يفعل «وفيق» في هذه الساعة من الليل في المعادي؟ أو بشكلٍ آخر ما الذي جعله يركب قطار المعادي؟ هل له أصدقاء هناك؟

المفتش: لقد سألنا أنفسنا هذا السؤال، ولم نعثر على إجابة واحدة؛ فلم يكن له أي صديقٍ في المعادي، ولكننا عثرنا على صديقٍ له شاهده يركب تاكسيًا في اتجاه ميدان «باب اللوق»، حيث محطة قطار المعادي، وكان ذلك نحو الساعة الثامنة والنصف مساءً.

تختخ: سؤال آخر ... ألم تعثروا على آثار دماء في مكان وقوع الحادث؟ أقصد وقوع «وفيق» من القطار؟

المفتش: إن بعض الأهالي هم الذين عثروا عليه، ونقلوه بسيارة الإسعاف، وقد قام الشاويش «علي» بمعاينة مكان الحادث، ولكنه لم يُشِر إلى وجود آثار دماء في المكان.

تختخ: لقد ذهبت منذ فترة قصيرة إلى مكان الحادث وفحصت الأرض بنفسي فلم أعثر على أي أثر للدماء ... أليس عجيبًا أن يقع رجل على رأسه من القطار، ويُصاب هذه الإصابة التي تُفقده الوعي أيامًا، ثم لا يترك أثر دماء مكانه؟

المفتش: هذه نقطة هامة للغاية وسنبحثها، وهناك شيءٌ جديدٌ يجب أن تعلمه؛ إن «وفيق» لم يعد إلى منزله في اليوم السابق على الحادث، فقد عُثر عليه صباح الأحد.

وهو لم يعد إلى منزله منذ خروجه منه في صباح يوم السبت، وقد أبلغت زوجته قسم الشرطة بذلك.

تختخ: إن اللغز يزداد صعوبةً ساعةً بعد ساعة، ولا أدري كيف سنصل إلى حلٍّ له ...

المفتش: إنني أعتمد على ذكائك.

مفاجأة جديدة

قضى «تختخ» ذلك المساء وهو يجلس بجوار نافذة غرفته يُفكِّر في عشرات الأسئلة التي تتزاحم على رأسه دون أن يعثر لأي منها على إجابة مناسبة، وعندما أوى إلى فراشه لم يكن قد استطاع أن يُكوِّن فكرةً واحدةً عن اللغز.

عندما استيقظ «تختخ» في اليوم التالي كانت في انتظاره مفاجأة جديدة؛ فقد اتصل به المفتش تليفونيًّا ليُخبره أن الأستاذ «حافظ» مدير مكتب التصميمات، قد عُثر عليه ميتًا في فراشه. وقال المفتش: إن «حافظ» رجل أعزب كما تعرف، وهو يعيش وحيدًا في شقة في «الزمالك»، ويقوم على خدمته رجل عجوز يعمل عنده منذ فترةٍ طويلة، وعندما ذهب هذا الصباح للقيام بواجباته المعتادة فوجئ بالأستاذ «حافظ» ميتًا.

قال «تختخ»: هل ستقومون بتفتيش منزله أو أي شيءٍ من هذا القبيل؟

المفتش: طبعًا.

تختخ: إنني أرجو أن آتي إليك وأن نقوم بزيارة منزل الأستاذ «حافظ» ... على الأقل لنتفرَّج على مجموعة التحف التي يحتفظ بها.

وافق المفتش على اقتراح «تختخ» الذي أسرع يرتدي ثيابه، ويتناول الفطور عاجلًا، ثم جرى إلى القطار واستقلَّه إلى القاهرة ...

كان المفتش في انتظاره على محطة «باب اللوق» كما اتفقا، فأسرعا بسيارة المفتش إلى منزل الأستاذ «حافظ»، ولم يكن من الصعب الاهتداء إليه؛ فقد كان في أحد شوارع «الزمالك» الرئيسية.

كانت شقة الأستاذ «حافظ» شقةً جميلةً مؤثَّثةً تأثيثًا غاليًا، ولكن المفاجأة التي كانت في انتظار «تختخ» أنه لم يجد في الشقة تحفًا كثيرةً كما كان يتوقَّع؛ فلم يكن هناك سوى

عدد قليل منها، نفس العدد الذي يوجد في أي شقة عادية. وبرغم أن «تختخ» كان يشعر بالأسف لوفاة الرجل، فإنه أحس أن من واجبه تفتيش الشقة بطريقته الخاصة.

وكانت الشقة قد امتلأت برجال الشرطة والطبيب، فانتهز «تختخ» فرصة انشغال الجميع بالمتوفى، ثم أسرع إلى غرفة المكتب، حيث قام بتفتيشه بسرعة، فعثر على مجموعة من الإعلانات الصغيرة التي تُنشر في الأهرام، وكانت كلها تطلب الرد على رقم ٣٣٣ في الأهرام. وتذكَّر «تختخ» الإعلان الصغير الذي كان «حافظ» قد وضع عليه إشارةً حمراء في جريدة الأمس، وبدأ ذهنه يعمل بسرعة … إن الأستاذ «حافظ» يتابع إعلانات التحف، وقد قال إنه من هواة التحف، ومع ذلك فليس في منزله تحف كما زعم، فهل في هذا الموضوع سرٌّ ما؟ وإذا كان هناك سر، فهل له صلة بحادث سرقة الوثائق؟ …

اكتفى «تختخ» بما وجده، ولم يستمرَّ في التفتيش حتى لا يراه أحد، وترك كل شيء في مكانه، ثم ذهب إلى المفتش «سامي» واستأذن منه، وغادر المنزل مسرعًا إلى مبنى جريدة الأهرام.

بينما انشغل المفتش في تفتيش منزل «حافظ»، ومحاولة الربط بين موته المفاجئ وسرقة الوثائق السرية. كان «تختخ» يُنفِّذ فكرةً أخرى خطرت بباله، هي سر احتفاظ الأستاذ «حافظ» بالإعلانات الصغيرة التي تُشير إلى التحف برغم أن منزله ليس به تحف، وبرغم قوله إنه من هواة التحف …

إن كذبةً واحدةً صغيرةً قد تكشف سرًّا غامضًا، وقد كذب «حافظ»، ولا بد أنه بهذه الكذبة كان يُحاول إخفاء سر كبير.

اتجه «تختخ» إلى قسم الإعلانات الصغيرة، وطلب من الموظف المختص أن يعرف اسم صاحب الإعلان الذي يُشير باستمرار إلى رقم ٣٣٣، فقال له الموظف إنه لا يعرف اسمه، ولا يُهمُّه أن يعرف؛ فالرجل يأتي ويدفع قيمة الإعلان، ثم يحضر لتسلُّم الردود التي تصل إليه.

قال «تختخ»: معذرة لأنني أضايقك، ولكن ذلك يتعلَّق بموضوعٍ هام، وسوف أسألك سؤالًا واحدًا.

قال الموظف: تفضل.

تختخ: هل تسلَّم رقم ٣٣٣ ردودًا على إعلانه الذي نُشر أمس؟

قال الموظف: دقيقة واحدة …

ثم قام إلى أحد أركان الغرفة، وبحث بين بعض الرسائل فترة، ثم عاد قائلًا: لا، لم يتسلَّم الردود بعد.

شكر «تختخ» الموظف، ثم انصرف مسرعًا، واستقل تاكسيًا إلى منزل الأستاذ «حافظ» لعله يلحق بالمفتش، ولحسن الحظ وجده ما زال هناك.

قال «تختخ»: هل وجدتم شيئًا خاصًّا باختفاء الوثائق؟

قال المفتش في يأس: ليس هناك أي شيء.

تختخ: وهل الوفاة طبيعية؟

المفتش: قال الطبيب الشرعي إنها نتيجة ذبحة صدرية؛ فقد كان «حافظ» عجوزًا ويُعاني من مرضٍ في القلب.

تختخ: هل نستطيع إخفاء خبر موت الأستاذ «حافظ» بضعة أيام؟

المفتش: لماذا؟

تختخ: إن عندي فكرةً ما، ولن أستطيع تنفيذها إذا نُشر خبر موت «حافظ».

المفتش: وما هي هذه الفكرة؟

تختخ: إنني أظن أن الإعلانات الصغيرة التي كانت تُنشر في الأهرام تحت رقم ٣٣٣ ليست بريئةً تمامًا، وربما كان وراءها سر لو اكتشفناه لحللنا لغز السرقة.

المفتش: إنني لا أفهم قصدك.

تختخ: آسف جدًّا لأنني لم أشرح لك المسألة من أولها، لقد لاحظت في أثناء زيارتنا لمكتب الأستاذ «حافظ» أمس أنه يُحيط أحد الإعلانات الصغيرة بدائرة. ولمَّا سألته عنها قال إنه من هواة جمع التحف. وعندما عدت إلى البيت وقرأت الإعلان وجدت المعلن يبحث عن تحف مصرية حديثة، وهو شيء مدهش، فليست هناك تحف حديثة، فالتحف كلها قديمة، لفت نظري هذا، وعندما حضرت اليوم إلى منزل «حافظ» وجدته قد جمع إعلانات صغيرةً كلها تحت رقم ٣٣٣. وبرغم أنه قال لي إنه من هواة التحف فليس في منزله تحف كثيرة؛ إذن فالأستاذ «حافظ» كان يُخفي سرًّا ما، وأريد أن أعرف هذا السر.

المفتش: وما دخل هذا كله في طلبك إخفاء خبر موت «حافظ» بضعة أيام؟

تختخ: إن الرجل الذي يُعلن تحت ٣٣٣ في انتظار ردود على إعلانه الذي نُشر أمس، وقد ذهبت الآن إلى جريدة الأهرام، وعرفت أنه لم يتسلَّم الردود بعد، وأنا أتصوَّر أنه ينتظر رد «حافظ» بالتحديد، فإذا عرف أنه مات، فقد لا يذهب ليتسلَّم الردود، لهذا أريد أن أُخفي الخبر، وأرقب قسم الإعلانات الصغيرة، حتى يأتي الرجل فأتبعه، وأريدك أن تساعدني في هذا.

المفتش: إنها فكرة بارعة حقًّا، وسوف أتفق مع المسئولين في الأهرام على تسهيل مهمتك، وفي نفس الوقت سنخفي خبر موت «حافظ» بعض الوقت كما تطلب، ولحسن

الحظ أن الرجل ليس له أقارب، إلَّا شقيقةً تُقيم في الإسكندرية، وسوف نستطيع إقناعها بإخفاء الخبر فترة، وفي نفس الوقت سنبلِّغ مكتب الأستاذ «حافظ» أنه طلب إجازةً لبضعة أيام.

تختخ: إنني أشكرك على كل هذه التسهيلات.

المفتش: إنني المدين لك بالشكر لمحاولتك مساعدتنا على حل هذا اللغز العجيب …

تختخ: وبالمناسبة ما هي أخبار «وفيق»؟ ألم يتنبَّه بعدُ من الإغماء؟

المفتش: للأسف إن حالته تزداد سوءًا.

تختخ: إنه مفتاح اللغز.

المفتش: فعلًا … قد تذكَّرت الآن ما قلته لي من أنه لم يترك آثار دماء في المكان الذي أصيب فيه. إن هذا شيء مدهش للغاية، فهل تقصد أنه أصيب في مكانٍ آخر، ثم نُقل إلى هذا المكان؟

تختخ: بالضبط، هذا ما قصدته.

المفتش: ولكن كيف يمكن نقل شخص في قطار لإلقائه في هذا المكان؟

تختخ: لعلهم نقلوه في سيارة.

المفتش: كيف تدخل السيارة على قضيب القطار، وهو في هذه المنطقة محاطٌ بسور … ولو كانوا نقلوه في سيارة، لكان من الأسهل لهم إلقاؤه في مكانٍ مهجور على شاطئ النيل، وهناك مناطق كثيرة صالحة لهذا على طول الطريق من القاهرة إلى المعادي.

تختخ: هذا صحيح، ولم يبقَ إلَّا أن يكونوا قد نقلوه في طائرة مثلًا.

المفتش ضاحكًا: لقد بدأت تسرح في خيالك.

قال «تختخ» مبتسمًا: فعلًا، ذلك شيء بعيد عن التصديق. على كل حال المهم الآن أن نتتبَّع رقم ٣٣٣ لعلنا نصل إلى شيء.

وأسرع المفتش و«تختخ» يستقلَّان سيارة المفتش إلى جريدة الأهرام، حيث تم الاتفاق على أن يجلس «تختخ» في مكان يُتيح له مشاهدة المتردِّدين على قسم الإعلانات الصغيرة.

قضى «تختخ» بقية اليوم جالسًا في مكانه في انتظار الرجل المجهول الذي يُعلن تحت رقم ٣٣٣. ومضى الوقت و«تختخ» يتفرَّج على زبائن الإعلانات ممن يُعلنون عن بيع السيارات والأثاث، أو يُعلنون عن حاجتهم إلى شقق خالية وغيرها من ألوان الإعلانات الصغيرة المشهورة باسم «الإعلانات المبوَّبة»، ومعناها الإعلانات التي توضع تحت أسماء محدَّدة تُسمَّى «الأبواب»، وهي معلومات جديدة أضافها «تختخ» إلى معلوماته الكثيرة.

انقضى اليوم دون أن يظهر رقم ٣٣٣، وأحسَّ «تختخ» أنه يبحث عن خيال، وأن خطته كلها وأفكاره حول الحادث لا معنى لها. وعندما أغلق مكتب الإعلانات الصغيرة أبوابه كان «تختخ» يشعر بالجوع والتعب، وبحاجته إلى العودة إلى منزله سريعًا … وهكذا استقل الأتوبيس إلى «باب اللوق»، ثم استقل القطار إلى المعادي، ولاحظ أن القطار ما زال يبطئ قرب مصر القديمة، حيث تقترب عرباته كثيرًا من المنازل حتى تكاد تلامسها.

وصل تختخ إلى منزله، فوجد والده ووالدته في انتظاره، وقد أصابهما القلق لغيابه طوال النهار، وعندما سألاه عن سبب غيابه، قال إنه كان في زيارة المفتش «سامي» ولم يُخبرهما بشيءٍ عن الحادث الخطير الذي يشترك في كشف غموضه كما وعد المفتش.

مطاردة في الشوارع

في الصباح أخذ «تختخ» طريقه إلى الأهرام، حيث جلس في مكانه، وكان يخشى أن يمضي اليوم جالسًا كما حدث بالأمس دون أن يظهر ٣٣٣، ولكنه في هذه المرة لم ينتظر طويلًا؛ فلم تمضِ نصف ساعة حتى دخلت امرأة عجوز تحمل حقيبةً زرقاء للخضار إلى مكتب الإعلانات تسأل عن بريد ٣٣٣، تنبَّهت أعصاب «تختخ» فورًا، وأخذ يرمق السيدة العجوز بحدة وهي تتسلَّم الخطابات. لقد كان يتصوَّر أنه سيقابل رجلًا، ففوجئ بهذه العجوز فقرَّر أن يتبعها لعلها تقوده إلى الرجل الذي يتوقَّف على وجوده حل اللغز.

تسلَّمت العجوز البريد، وخرجت فتبعها «تختخ» من بعيد، وعبر خلفها شارع الجلاء حيث يقع مبنى الأهرام، ثم سارت بجوار هيئة التليفونات فسار خلفها، ثم اجتازت شارع رمسيس ودخلت إلى شارع سوق التوفيقية، فأسرع «تختخ» يقترب منها حتى لا تضيع منه في زحام السوق، وأصبح على بعد خطواتٍ منها، وهي تسير في نشاطٍ ظاهر، ثم توقَّفت عند باعة الفاكهة، فاشترت ما يلزمها، ثم واصلت السير، فسار يتبعها حتى وصلت إلى شارع توفيق، واجتازت شارع ٢٦ يوليو، ودخلت إلى شارع طلعت حرب، وكانت حركة المواصلات والزحام على أشدها، ولكن «تختخ» استطاع أن يظل قريبًا منها دون أن تشعر به.

اتجهت العجوز إلى داخل شارع طلعت حرب و«تختخ» يتبعها، حتى وقفت أمام سينما مترو، وكانت حفلة الساعة العاشرة قد بدأت منذ دقائق قليلة، فأسرعت السيدة إلى شباك التذاكر لتقطع تذكرةً في الصالة، ووجدها تدخل السينما، فأسرع إلى الشباك هو الآخر وقطع تذكرةً وتبعها، ولكنه كان قد تأخَّر لحظات كانت كافيةً لأن يفقد أثرها في ظلام السينما.

وقف «تختخ» في الدهليز نصف المظلم ينظر حوله دون أن يرى أثرًا للعجوز، فقرَّر أن يدخل إلى الصالة لعله يجدها ولو في الظلام، ومدَّ يده بالتذكرة إلى العامل الذي يُنظِّم

جلوس الروَّاد، فقاده في الظلام إلى مكانه، وكم كانت فرحته أن وجد نفسه بجوار العجوز التي كانت تجلس في الظلام، وهي تتابع الفيلم القصير لـ «ميكي ماوس» الذي تعرضه السينما قبل الاستراحة.

كان قلب «تختخ» يدق بعنف وهو يجلس بجوار العجوز؛ فعلى بعد سنتيمترات منه ربما يوجد حل اللغز الذي يهم رجال الشرطة في مصر كلها، ولكن ماذا يفعل؟ هل يترك العجوز ويخرج ليتصل بالمفتش «سامي» تليفونيًّا، قد تخرج العجوز من السينما دون أن يراها، هل يظل يراقبها؟ قد تضيع منه في الزحام. كان عقل «تختخ» يعمل بسرعة ليصل إلى حل، وانتهى فيلم «ميكي ماوس» دون أن يفهم منه شيئًا تقريبًا، وجاءت الاستراحة فأخذ يُدقِّق النظر إلى العجوز دون أن تلاحظ حتى لا تشك فيه، وأحسَّ بشعورٍ غامضٍ حيالها؛ فمظهرها برغم شعرها الأبيض يوحي بالقوة والسيطرة، وقد أمسكت بحقيبة للخضار كبيرة من القماش الأزرق السميك، وأخرجت العجوز علبة سجائر، ثم تذكرت أن التدخين ممنوع في السينما، فقامت إلى الممر، وسقط منها عند قيامها ورقة صغيرة، فالتقطها «تختخ»، ووجد أنها تذكرة لقطار المعادي، وقرَّر «تختخ» ألَّا يتبعها حتى لا تشك فيه، ولكنه ظل قلقًا طول الوقت يدور برأسه تجاه الباب في انتظار عودتها، ولم تكد السينما تُطفئ أنوارها ليبدأ الفيلم، حتى عادت العجوز إلى مكانها، وأحسَّ «تختخ» بالارتياح. بدأ الفيلم، وكان فيلم «الفرسان الثلاثة»، وفرح «تختخ» لأنه كان يُحبه وقد شاهده مرة، ولكن لم يكن هناك مانع من أن يراه مرةً أخرى. ومرَّت ربع ساعة وهو منهمك في مشاهدة الفيلم، وفجأةً أحسَّ بالعجوز تتحرَّك، فانتبه، ووجدها تتجه إلى الباب، فانتظر قليلًا، ثم تبعها، ومن بعيد وجدها تدخل دورة المياه، فاطمأن وعاد إلى مكانه يتابع الفيلم.

طالت غيبة العجوز، وأحسَّ «تختخ» أنه أخطأ عندما تركها في دورة المياه دون أن يراقبها من بعيد، فانتظر فترةً أخرى، ثم قام وأسرع إلى الممر، ووقف من بعيد يرقب باب دورة المياه، ولكن انتظاره طال، فأدرك أن العجوز قد أفلتت منه إلى الأبد، وأسرع إلى عامل الباب يسأله عنها، فقال الرجل: لم تخرج سيدات منذ بداية الفيلم، والذي خرج هو رجل … رجل! دُهش «تختخ» كثيرًا … ولكنه فهم أن السيدة هي في الحقيقة رجل متنكر … وتذكَّر التذكرة التي وجدها فأسرع يستقل تاكسيًا برغم قرب المسافة، وبعد دقائق قليلة كان يقف على محطة «باب اللوق» ويدور ببصره في كل اتجاه؛ لعله يلمح الرجل ذا الحقيبة الزرقاء، ولكن الوقت مضى دون أن يرى الرجل، وأحسَّ باليأس يهبط على قلبه، فجرَّ قدمَيه إلى القطار وألقى نفسه فيه، وقد أحسَّ أنه أغبى إنسان في العالم بعد أن ترك حل اللغز الهام يُفلت من يدَيه.

سار القطار مسرعًا كالمعتاد، ثم توقَّف تقريبًا عند محطة مصر القديمة كما يحدث كل مرة، وكان الكمساري قريبًا من «تختخ» فسأله عن سر توقُّف القطار في هذا المكان، فقال الرجل: هناك إصلاح في الخط منذ فترة، والقطار يُضطر إلى تهدئة سرعته بسبب هذا الإصلاح.

وأطلَّ «تختخ» من النافذة يرقب المنازل التي تقترب كثيرًا من القطار، حتى تكاد تلمسه، وفجأةً من بعيد شاهد الحقيقة الزرقاء، نفس الحقيبة التي كانت مع العجوز في الصباح، وكان يحملها رجل في منتصف العمر يسير في أحد الشوارع القريبة من القطار. وقف «تختخ» مسرعًا، وقرَّر أن يقفز من القطار، ولكن القطار كان قد تحرَّك في هذه اللحظة وانطلق، فلم يكد «تختخ» يصل إلى الباب حتى كان القطار يسير بأقصى سرعة، ولم يكن في إمكانه أن يقفز منه إلَّا إذا كان يُريد الانتحار. فوقف قرب الباب ينظر إلى الشوارع التي كانت تظهر وتختفي، والناس ... والمنازل ... وكان كل شيءٍ يدور ويدور ... وأحسَّ أن رأسه يدور أيضًا، وأنه سيسقط، فأسرع إلى أقرب كرسي فارتمى عليه وهو يشعر بالمرض يغزو جسمه ويُدير رأسه.

لا يعلم «تختخ» كيف وصل إلى منزله، ولعله نزل بحكم العادة في محطة المعادي، وحملته قدماه إلى منزله حيث صعد إلى غرفته، واستلقى على الفراش دون أن يخلع ثيابه، ثم ذهب في نومٍ عميق.

عندما استيقظ «تختخ» كان المساء قد هبط على المعادي، وكان يشعر أنه أحسن حالًا من الصباح، ولكنه كان يشعر أن جسمه ثقيل، فأخذ يخلع ثيابه في بطء، ثم طلب من الشغَّالة أن تُعِد له كوبًا من الشاي.

أحضرت الشغَّالة كوب الشاي، وفجأةً دقَّ جرس الباب، وكم كانت مفاجأة مدهشة أن دخل بقية المغامرين الخمسة معًا، وهم يضحكون! كان الأربعة «محب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة» قد لوحت الشمس لونهم وكانت صحتهم جيدة، وهم يهزون يد «تختخ» في حماسة، وكان هو شديد الفرح؛ لأن أصدقاءه عادوا ولم يعُد وحيدًا في المعادي.

قالت «لوزة» وهي تضع في يده صدفةً بحريةً جميلة: لقد رأيت أن آتي لك بهذه الصدفة من البحر، أمَّا الأصدقاء فقد أحضروا لك كميةً من السمك والكابوريا المشوية.

ابتسم «تختخ» وشكَر الأصدقاء على كرمهم، ثم انطلقت «لوزة» تسأل: أليست هناك مغامرات جديدة؟ أليس هناك لغز للحل؟ قضينا إجازةً ممتعةً ولكن دون أن نشغل رءوسنا بشيء، فهل عندك شيء لنا؟

كاد «تختخ» يروي لهم مغامراته التي لم تنتهِ بعد، ولكنه تذكَّر تحذير المفتش، ففكَّر قليلًا ثم قال: إنني مشترك في مغامرة حقًّا، ولكن للأسف الشديد لا أستطيع أن أروي لكم شيئًا عنها. إن المغامرين الخمسة لا يُخفون شيئًا عن بعضهم البعض، ولكنني مضطر إلى هذا كطلب المفتش «سامي».

تبادل الأصدقاء النظرات، ثم قال «محب»: من واجبك أن تُنفِّذ تعليمات المفتش «سامي» بدقة، ولا داعي لأن نتدخَّل في أي شيءٍ لا يخصنا.

عاد «تختخ» إلى الحديث فقال: ولكن على كل حال هناك جزء من المغامرة يُمكنكم الاشتراك فيه، ولكن دون أسئلة.

دبَّ الحماس في نفوس الأصدقاء، وقالت «نوسة»: سنشترك دون أسئلة.

تختخ: المطلوب منكم العثور على رجلٍ متوسط القامة أو امرأة عجوز فهما شخص واحد، وهذا الشخص لا نعرف عنه سوى أنه يحمل حقيبةً من القماش الأزرق.

عاطف: وأين يوجد هذا الشخص، من غير المعقول أن نبحث عنه في مصر كلها، أو في المعادي كلها.

تختخ: إن الأماكن التي يتردَّد عليها محطة «باب اللوق»، وجزء من مصر القديمة، وربما سوق التوفيقية في القاهرة، ولكننا سنُركِّز بحثنا عنه في المكانَين الأولين ... لقد استنتجت أنه يسكن في مكانٍ ما بين القاهرة والمعادي؛ لأنني عثرت في مكانه في السينما على تذكرة لقطار المعادي، ثم رأيته من بعيد في أحد الشوارع القريبة من شريط السكة الحديد بمصر القديمة ... وهو في الغالب يسكن وحده؛ لأنه يذهب لشراء حاجاته بنفسه، ولو كان عنده شغَّالة لتركها تشتري له ما يُريد.

قصة عاطف المثيرة

اتفق الأصدقاء في صبيحة اليوم التالي على تقسيم أنفسهم؛ فتبقى «نوسة» و«لوزة» بجوار التليفون في منزل «تختخ» ليتم الاتصال عن طريقهما بالأصدقاء الثلاثة، و«تختخ» الذي تقرَّر أن يقف على محطة «باب اللوق»، و«محب» الذي يقف على محطة مصر القديمة، و«عاطف» الذي يقف في الشارع الذي شاهد فيه «تختخ» الحقيبة الزرقاء في يد الرجل، وكان على أي واحدٍ منهم أن يتبع الرجل إذا رآه، حتى يعرف المنزل الذي سيدخل فيه، ثم يتصل تليفونيًّا بـ «نوسة» و«لوزة» ويملي العنوان حتى يستطيع «تختخ» معرفته والاتصال بالمفتش «سامي» لإبلاغه.

وهكذا ركب الأصدقاء الثلاثة قطار المعادي، فلمَّا وقف في محطة مصر القديمة نزل «محب» و«عاطف»، ثم واصل «تختخ» الركوب إلى محطة باب اللوق، حيث نزل هناك، وجلس على أحد المقاعد ينظر هنا وهناك، لعله يرى الحقيبة الزرقاء.

ظل «تختخ» جالسًا نحو ساعة، ولمَّا لم يرَ شيئًا قام للاتصال تليفونيًّا بـ «نوسة» و«لوزة» لعل عندهما أخبارًا، وعند أحد باعة السجائر وجد تليفونًا فاتصل بالصديقتَين، ولكنهما قالتا له إن أحدًا لم يتصل بهما، فعاد إلى مكانه يُراقب من جديد.

أمَّا «محب» فجلس في محطة مصر القديمة يُراقب هو الآخر، في حين وقف «عاطف» في الشارع الذي وصفه «تختخ» يرقب المنازل والمارة … فلمَّا تعب من الوقوف قرَّر أن يتمشَّى في الشارع ذهابًا وإيابًا، وهو ينظر إلى شرفات المنازل.

كان الأصدقاء قد اتفقوا على أن يعودوا في الثانية إلى منزل «تختخ» إذا لم يعثروا على شيء. ومرَّت الساعات بطيئة، فلمَّا قاربت الثانية، انطلق «تختخ» إلى القطار فركبه، وعندما وقف القطار في محطة مصر القديمة، وجد «محب» في انتظاره، ولكنه لم يرَ «عاطف»، وأسرع «محب» يركب القطار، فسأله «تختخ»: ألم ترَ «عاطف»؟

محب: لا، لم أرَه، ولعله ركب دون أن نراه، فالقطار مزدحم جدًّا.

تختخ: على كل حال إذا لم يركب هذا القطار، فلعله يكون قد سبقنا أو سيلحق بنا بعد قليل.

وصل القطار إلى المعادي، وأسرع الصديقان إلى منزل «تختخ»، فوجدا «نوسة» و«لوزة» في انتظارهما ولم يجدا «عاطف»، فسأل «تختخ» «نوسة»: ألم يتصل عاطف بكما؟

نوسة: لا، لم يتصل بنا أحد مطلقًا.

جلس الأصدقاء الأربعة صامتين في انتظار عودة «عاطف»، ولمَّا حان موعد الغداء، أحضر لهم «تختخ» بعض الساندويتشات، ومضت الساعات دون أن يظهر «عاطف»، فأحسُّوا جميعًا بالقلق، وقرَّر «تختخ» الاتصال بالمفتش «سامي»، وإخباره بكل شيء.

قام «تختخ» إلى التليفون، وتحدَّث مع المفتش «سامي»، وشرح له ما حدث منذ الساعة التي خرج فيها من دار الأهرام خلف رقم ٣٣٣ حتى غياب «عاطف».

تضايق المفتش كثيرًا وقال لـ «تختخ»: لماذا لم تتصل بي منذ أمس؟ لقد كان أمامنا فرصة ذهبية للقبض على هذا الرجل الذي كان من الممكن أن يقودنا إلى حل اللغز.

تختخ: آسف جدًّا يا سيادة المفتش، لم أكن أنتظر أن تتطوَّر الأحداث بهذا الشكل.

المفتش: على كل حال سوف أرسل عددًا من رجال الشرطة السريين للبحث عن «عاطف» في هذا الشارع، وسأحضر الآن إليكم للحديث.

أغلق المفتش التليفون بعنف أحسَّ منه «تختخ» بمدى غضب المفتش، فنظر إلى الأصدقاء قائلًا: يبدو أننا تورطنا في قضية مخيفة، وأخشى أن يكون قد وقع لـ «عاطف» شيء!

قالت «لوزة» وهي تحبس دموعها خوفًا على شقيقها: إنني خائفة.

تختخ: أرجو أن يعود «عاطف»، وإلَّا فسوف أعتبر نفسي مسئولًا عمَّا حدث له.

مضت نصف ساعة والجميع جالسون في صمتٍ حزين، ثم سمعوا صوت سيارة المفتش وهي تقف بالباب، ثم دخل المفتش بقامته الطويلة وقد بدا على وجهه الضيق والحزن، وبعد أن حيَّاهم جلس هو و«تختخ» جانبًا، وأخذا يتبادلان حديثًا هامسًا لم يسمع منه «محب» ولا «نوسة» شيئًا. وفي الواقع إن المفتش كان يريد أن يطمئن على أن «تختخ» لم يُخبر الأصدقاء بشيءٍ عن حقيقة اللغز الذي يشتركون فيه.

وفجأة ... وقبل أن يمضي وقت طويل، دخل «عاطف» وأخذ الأصدقاء ينظرون إليه وكأنهم يرون شبحًا ... فقد ظنوا أنه لن يعود أبدًا، أو على الأقل ... سيعود بعد أيام، وبواسطة رجال الشرطة ... أمَّا أن يعود وحده، فهذا ما لم يكونوا يُصدِّقونه.

وكان المفتش «سامي» هو أول من تحرَّك، فقام واقفًا وقال: «عاطف» ... الحمد لله أنك عدت، أين كنت حتى الآن؟

وارتمى «عاطف» على أحد المقاعد، وأخذ ينظر إلى الأصدقاء واحدًا بعد الآخر، ثم قال: لقد عدت بمعجزة!

أسرع «تختخ» فأحضر لـ «عاطف» كوبًا من عصير الليمون المثلج شربه مرةً واحدة، ثم أخذ يروي قصة مغامرته المثيرة فقال: لقد ذهبت ووقفت في الشارع الذي حدَّده «تختخ»، وظلِلت واقفًا فترةً طويلة، ولكني في النهاية أحسست بالملل من الوقفة، فقرَّرت أن أتمشَّى في الشارع، فتقدَّمت إلى الأمام في اتجاه شريط السكة الحديد ... وفجأةً وجدت نفسي أمام رجل يحمل حقيبةً زرقاء ...

سكت «عاطف» لحظة، وكانت عيون الجميع مركزةً عليه ليُكمل قصته، فمضى يقول: ... نسيت نفسي في تلك اللحظة من فرط حماستي؛ فتقدَّمت منه بسرعة وأخذت بكل غباء أحملق في وجهه كأنني أرى رجلًا من القمر ... ولاحظ الرجل أنني أحملق فيه بشدة، فاستدار مسرعًا ودخل المنزل الذي خرج منه، ولم أتردَّد فقد دخلت خلفه فورًا ... ووجدته يصعد السلالم بسرعة، فصعدت خلفه، وسمعت صوت باب يُفتح في الدور الثاني، فضاعفت سرعتي على السلالم لأرى الشقة التي دخل فيها ... ووجدت نفسي أمام باب مفتوح فنظرت داخله ... وقبل أن أدرك ماذا سيحدث امتدت يد قوية وجذبتني إلى داخل الشقة، ثم أغلق الباب، ووجدت نفسي وجهًا لوجه أمام الرجل الذي كان يحمل الحقيبة الزرقاء.

مرةً أخرى سكت «عاطف»، وأخذ ينظر إلى الأصدقاء، وكانوا جميعًا صامتين ينظرون إليه في لهفة، فعاد ليقول: أمسك الرجل بذراعي وثناها إلى الخلف في قسوة أحسست أنه سيكسرها، سألني: من أنت؟ من الذي أرسلك؟ ... فقلت له اسمي ... ولم أقل له من أرسلني ... أخذ الرجل يضغط على ذراعي بقسوة، ولكني لم أردَّ عليه، ثم وقف في مواجهتي وسألني إذا كنت أراقبه منذ فترةٍ طويلة، فقلت له إنما أراه لأول مرة، فأخذ يُفكِّر قليلًا، ثم أحضر منديلًا ربط به فمي، وقطعة حبل قيَّد بها يدي وقدمي.

قال «محب» مقاطعًا: تركته يُقيِّدك دون أن تتحرَّك؟

ردَّ «عاطف»: في الحقيقة إنني كنت مذهولًا من المفاجأة وكنت خائفًا؛ فقد كان منظر الرجل مرعبًا، ويبدو شديد القسوة، حتى لقد تصوَّرت أنني لن أخرج من المنزل حيًّا.

قال المفتش: من حسن حظك أنه لم يقتلك، ويبدو أنه أشفق عليك، أو كان ينوي مغادرة المنزل قبل حضورك، فاكتفى بتقييدك ... والآن أكمل.

عاطف: قام الرجل بعد ذلك يجمع حاجاته في حقيبة جلدية كبيرة، وهي في أغلبها أوراق، وبعض الملابس، ثم أغلق باب الشقة عليَّ، وتركني وخرج.

سكت «عاطف» فقالت «لوزة»: وكيف استطعت أن تُخلِّص نفسك؟

عاطف: أخذت أحاول فك يدي، وقد استغرق هذا ساعات طويلة، ولكني استطعت في النهاية تخليص نفسي، عندئذٍ وجدت الباب مغلقًا من الخارج، وظلِلت مدةً طويلةً أحاول فتحه دون فائدة، فأسرعت إلى الشرفة التي تُطل على شريط السكة الحديد، وأخذت أرقب ما حولي حتى لا يراني أحد، ثم دلَّيت نفسي منها، وقفزت، وقد شاهدني شخص وبدأ يصيح، ولكن لحسن الحظ وصل القطار في تلك اللحظة، ووقف بجوار المنزل تمامًا فقفزت فيه، واستطعت الاختفاء بين الركَّاب وحضرت إلى هنا.

وقف «تختخ» وقال للمفتش: لقد عثرت على تفسير كل شيء؛ إن مغامرة «عاطف» لن تذهب عبثًا. لقد فسَّرت لنا اللغز!

قال «المفتش» دَهِشًا: تقصد وجود الرجل في هذا المكان؟ ...

تختخ: بالضبط. لقد عثرت على ما يُؤيِّد وجهة نظري في اللغز كله، وسوف أشرح لك بالتحديد ما حدث.

المفتش: إن المهم الآن هو العثور على الرجل، وأريد أن يأتي «عاطف» معي إلى إدارة البحث الجنائي ليُدلي بأوصاف الرجل، وسنعرض عليه صورًا للمشتبه فيهم لعل الرجل يكون من بينهم، فإذا لم يكن منهم، فسوف نرسم له صورةً تقريبيةً نُوزِّعها على المطارات والموانئ قبل أن يهرب الرجل إلى الخارج.

ثم التفت المفتش إلى «عاطف» قائلًا: هل في إمكانك أن تأتي معي الآن؟

ردَّ «عاطف»: برغم أني متعب جدًّا، فلا بأس من أن آتي معك.

المفتش: وأنت أيضًا يا «تختخ» لتشرح لي فكرتك ونحن في الطريق.

كيف سُرقت الوثائق؟

أسرع المفتش ومعه «تختخ» و«عاطف» إلى السيارة، فركب «تختخ» بجوار المفتش، وركب «عاطف» خلفهما، وبقي بقية الأصدقاء في انتظار عودة «عاطف» و«تختخ».

وفي الطريق بدأ «تختخ» يشرح فكرته فقال: إنني متأكد الآن أن «وفيق» لم يسرق الوثائق، وأن اللص هو «حافظ».

وبرغم أن المفتش كان يقود السيارة بسرعة كبيرة، فإنه التفت إلى «تختخ» مندهشًا، وقال: وكيف وصلت إلى هذا الآن؟! وما دخل مغامرة «عاطف» به؟!

قال «تختخ»: إن وجود بقية الوثائق في جيب «وفيق» أقنعني الآن أن اللص الأصلي يُريد تضليل رجال الشرطة بإلقاء التهمة على «وفيق»، ولم تكن هناك وسيلة لهذا أفضل من أن يضع في جيبه بعض الوثائق المسروقة بعد أن أخذ الوثائق الهامة.

المفتش: لعل من الأفضل أن نبدأ في شرح فكرتك من الأول، حتى تسير سيرًا منطقيًّا.

تختخ: هذا أفضل فعلًا، وأنا أتصوَّر أن «وفيق» كان يشك في «حافظ» ويظن أنه على صلة بأشخاص يُهمُّهم أن يحصلوا على الوثائق، ولعل وجوده معه في مكانٍ واحد مكَّنه من أن يُراقبه بدقة، ولعله لاحظ مثلي حكاية الإعلانات الصغيرة التي كان «حافظ» يحرص على قطعها من الأهرام ... أو لاحظ أن «حافظ» كان يفتح الخزينة كثيرًا وبدون داعٍ لذلك ... المهم أنه شك فيه وبدأ يراقبه ... ولكن لم تكن عنده الأدلة الكافية لإبلاغ رجال الشرطة عنه، وفضَّل أن ينتظر حتى يعثر على أدلةٍ كافيةٍ لإبلاغ الجهات المسئولة عنه ... وفي يوم وقوع السرقة يبدو أنه شاهد «حافظ» يفتح الخزينة ويأخذ شيئًا منها. لم يكن واثقًا منه، فتركه حتى خرج من المكتب، وتبعه وظلَّ يتبعه حتى وصل «حافظ» إلى محطة «باب اللوق» وركب القطار.

قاطع المفتش «تختخ» قائلًا: ولماذا محطة «باب اللوق» بالذات؟ ومن أين عرفت أنها باب اللوق؟

قال «تختخ»: سأشرح لك كل شيء ... لقد تبع «وفيق» «حافظ» إلى «باب اللوق» دون أن يلاحظ «حافظ» شيئًا؛ فقد كان هذا وقت خروج الموظفين والشوارع مزدحمة ومحطة «باب اللوق» مزدحمةً أيضًا، وهكذا استطاع أن يركب خلفه القطار دون أن يُلاحظه، ثم نزل خلفه في محطة «مصر القديمة» وتبِعه من بعيد، حيث شاهده يدخل المنزل الذي دخله «عاطف» اليوم، وهو المنزل الذي يسكن به الجاسوس رقم ٣٣٣ كما أُسمِّيه، ووقع «وفيق» في نفس الخطأ الذي وقع فيه «عاطف» فيما بعد، فصعد إلى المنزل، وأُرجِّح أن رقم ٣٣٣ كان يُراقب الطريق من الشرفة في انتظار حضور «حافظ»، فشاهد «وفيق» يتبعه، ثم يدخل المنزل، وهكذا انتظر، فلمَّا دخل «وفيق» إلى المنزل ضربه على رأسه وجرَّه إلى داخل الشقة، ويبدو أن الحظ كان في جانب ٣٣٣، فلم يكن هناك أحد على السلم في هذه اللحظة، فاستطاع أن يضرب «وفيق» دون أن يراه أحد ... وأخذ الجاسوس و«حافظ» يُفكِّران في طريقة للتخلُّص من «وفيق» وإلقاء تهمة سرقة الوثائق عليه، فخطرت لهما فكرة شيطانية.

وسكت «تختخ» لحظة، فقال المفتش: ماذا كانت هذه الفكرة؟

تختخ: إن في هذه المنطقة تصليحات في شريط السكة الحديد، وقد لاحظت شخصيًّا أن القطار يقف في هذا المكان فترةً طويلةً ثم يسير ببطءٍ شديد، ومن المؤكَّد أن رقم ٣٣٣ لاحظ ذلك أيضًا، ففكَّر أن ينتظر هبوط الظلام، ثم يضع «وفيق» على ظهر القطار دون أن يراه أحد ... وقد ظن أن الإصابة التي أصابه بها قد قضت عليه ... وهكذا وضعا «وفيق» على ظهر القطار في الظلام الحالك بعد أن دسَّا في جيبه الجزء غير الهام من الوثائق ... فإذا عثر عليه فسوف يتصوَّر رجال البوليس أنه هو اللص. وبموته لا يمكن العثور على دليل أو الوصول إلى رقم ٣٣٣.

وسكت «تختخ» وساد الصمت بينهما فترة، ثم قطعه المفتش قائلًا: في الواقع إنه تفسير مدهش، وإن كان أغرب من الخيال. ولكن لماذا لم يُصوِّر «حافظ» الوثائق ويتركها مكانها؟

تختخ: لعله كان سيُصوِّرها في منزل الجاسوس ثم يُعيدها في اليوم التالي لولا ظهور «وفيق»!

ساد الصمت داخل العربة وهي تشق طريقها بسرعة إلى مبنى إدارة البحث الجنائي في باب الخلق، وبعد دقائق وصلت السيارة، ونزل الثلاثة حيث أسرعوا إلى مكتب المفتش

«سامي»، الذي جمع ضبَّاطه ثم روى لهم باختصار ما حدث، وطلب منهم عرض صور المشبوهين على «عاطف»، في حين جلس المفتش يُجري بعض الاتصالات التليفونية برؤسائه.

قضى «عاطف» فترةً طويلةً يفحص صور المشتبه فيهم من الجواسيس دون أن يتعرَّف على أحدٍ منهم، وفي النهاية تقرَّر رسم صورة تقريبية للجاسوس رقم ٣٣٣ بناءً على الأوصاف التي يدلي بها «عاطف»، وبعد نحو ساعة كان ثمَّ رسم تقريبي للرجل، وتقرَّر بعدها أن يذهب المفتش «سامي» وأحد مساعديه وموظفو البصمات مع «عاطف» إلى منزل الجاسوس لتفتيشه، ورفع البصمات التي سيجدونها هناك. ومرةً أخرى تحرَّكت العربات، وركب «تختخ» بجوار المفتش، وانطلقت بهم السيارة.

وصل الجميع إلى المنزل وقد بدأ المساء يهبط، واستطاع المفتش فتح الباب بوسائله الخاصة، ثم دخلوا جميعًا. كانت الشقة مكوَّنةً من غرفتين ومطبخ ودورة مياه، فانتشر الضبَّاط يُفتشونها تفتيشًا دقيقًا، فلم يعثروا على شيءٍ ذي أهمية، ولكن أحد الضبَّاط وجد ورقةً صغيرةً على الأرض قدَّمها إلى المفتش «سامي»، الذي ما كاد يراها حتى صاح: يبدو أن استنتاجات «تختخ» صحيحة؛ فهذا أحد الإعلانات الصغيرة التي تُنشر في الأهرام، وإن كنت لا أعلم مهمَّة هذه الإعلانات بالضبط.

أسرع المفتش «سامي» إلى حيث كان «تختخ» يقف في شرفة المنزل ويقيس المسافة بين الشرفة وبين سقف القطار، وقد كانت المسافة لا تزيد على مترٍ واحد، فلمَّا رأى المفتش قال: إن ما توقعتُه صحيح ... فالمسافة تسمح بإلقاء «وفيق» من الشرفة إلى سطح القطار كما توقعت.

قال المفتش وهو يمد يده بالورقة: إن استنتاجاتك صحيحة؛ فهذا أحد الإعلانات الصغيرة التي كان يتبادلها «حافظ» مع الجاسوس، وهي تؤكِّد أن «حافظ» كان على علاقةٍ به، ولكني لم أفهم ما هي مهمة هذه الإعلانات بالضبط.

تختخ: إنها وسيلة الاتصال بين الجاسوس و«حافظ» حتى لا يكونا تحت رقابة المباحث أو المخابرات. كانا يلجآن إلى هذه الوسيلة لتحديد مواعيد اللقاءات والاتفاق على العمليات، وقد كان الجاسوس هو الذي يذهب لنشر الإعلان، وعندما يقرؤه «حافظ» يُرسل له ردًّا على رقم ٣٣٣ يتضمَّن مواعيد اللقاء وغيرها. إنه جاسوس بارع، وأرجو أن تُعطيني صورةً له أحتفظ بها كذكرى لهذه المغامرة.

ناول المفتش لـ «تختخ» الصورة فتأمَّلها قليلًا، ثم وضعها في جيبه، وبعد لحظاتٍ كانت سيارة من سيارات رجال الشرطة تحمله هو و«عاطف» إلى المعادي، حيث كان الأصدقاء في انتظارهما.

قالت «لوزة» وهي تقف لتنصرف مع شقيقها «عاطف»: إننا حتى الآن لا نعرف شيئًا عن هذا اللغز، فهل سترويه لنا يا «تختخ»؟

قال «تختخ» وهو يوصلهما ومعهما «محب» و«نوسة» إلى الباب: لقد وعدت المفتش ألَّا أروي هذا اللغز لأحد، ولكن إذا تم القبض على الرجل، قد يسمح لي المفتش بأن أروي لكم كل شيء، فنحن المغامرين الخمسة لا نُخفي عن بعضنا البعض شيئا.

انصرف الأصدقاء وبقي «تختخ» وحده، وأحسَّ بأنه في أشد الحاجة إلى الراحة، فقرَّر أن يتعشَّى مبكرًا ثم يقرأ قليلًا، ويأوي إلى فراشه وينام نومًا عميقًا، يُعوِّض به الأيام المتعبة التي قضاها في مطاردة رقم ٣٣٣ الذي اختفى ولا يعلم مكانه أحد.

بعد العشاء أسرع «تختخ» إلى غرفة العمليات حيث اعتاد أن يجلس ليقرأ، فوجد صورة الجاسوس المرسومة التي أخذها من المفتش أمامه، فأمسك بها، وأخذ يتأمَّلها لحظات، وفجأةً خطرت له فكرة غريبة ... إن رقم ٣٣٣ بعد أن رآه «عاطف» لا يمكن أن يتحرَّك أو يسافر دون أن يُغيِّر شكله ... وهو في الغالب سوف يتنكَّر في شكل السيدة العجوز، كما كان متنكِّرًا عندما ذهب إلى جريدة الأهرام، ومعنى هذا أن رجال الشرطة لن يعثروا عليه أبدًا؛ فسوف يبحثون عن رجلٍ متوسط العمر، بينما يكون الجاسوس في شكل سيدة عجوز بيضاء الشعر ... وهكذا بدلًا من أن يأوي «تختخ» إلى فراشه كما كان يأمل، أسرع إلى التليفون يطلب المفتش، ولكنه لم يعثر عليه في مكتبه أو المنزل، وكان واثقًا أنه الآن مع رجالٍ يُحكمون حلقة الحصار حول الجاسوس الذي سيتمكَّن من الإفلات منهم متنكِّرًا في ثياب السيدة العجوز، فترك له خبرًا للاتصال به.

أخذ «تختخ» يُفكِّر، ثم قام إلى مكتبه فأحضر بعض الأقلام ومجموعةً من الألوان وفرشاة رسم، وأخذ يُجري تعديلًا في ملامح صورة الجاسوس، بحيث يُحوِّله إلى سيدة عجوز كتلك التي شاهدها أمس صباحًا، وقضى في هذا العمل نحو نصف ساعة، فلمَّا انتهى منه كانت أمامه صورة قريبة الشبه جدًّا من العجوز بشعرها الأبيض، ونظَّارتها الطبية، فتأمَّلها لحظات، ثم قرَّر أن يقوم لينام؛ فقد كان يشعر أنه متعب جدًّا، ولكنه على سبيل الاحتياط أخذ التليفون إلى غرفته لعل المفتش يتصل به.

جرس منتصف الليل

نام «تختخ» بعد لحظاتٍ من دخوله إلى الفراش، ومضت الساعات وهو مستمتع بنومٍ هادئ ... وعندما أشارت عقارب المنبه الذي في غرفته إلى منتصف الليل تقريبًا دقَّ جرس التليفون، فقام «تختخ» مفزوعًا من فراشه، وأضاع بعض الثواني قبل أن يمد يده ويرفع سماعة التليفون.

على الناحية الأخرى من الخط جاء صوت المفتش «سامي»: ألو، «تختخ» مساء الخير، هل أزعجتك؟

تختخ: نعم ... أقصد قليلًا، ألم تعد إلى منزلك سوى الآن؟

المفتش: لقد سافرت إلى الإسكندرية بعد أن تركتني بدقائق؛ فقد ذهبت إلى الميناء لوضع ترتيبات مع شرطة الإسكندرية لإحكام الحصار حول الجاسوس، فقلبي يُحدِّثني أنه لن يُغادر مصر عن طريق الجو، ولكن عن طريق البحر.

تختخ: إنني أظن هذا أيضًا ...

المفتش: هل هناك شيء جديد طلبتني من أجله؟

تختخ: نعم ... لقد تصوَّرت أن الجاسوس سوف يتنكَّر؛ فهو واثق أن «عاطف» سيتصل بكم ويصفه لكم، وفي إمكانكم أن تحصلوا على صورةٍ تقريبيةٍ له بواسطة الرسم ... لهذا أتصوَّر أنه سيعود إلى التنكُّر في شكل السيدة العجوز، فهو لا يتصوَّر أن أحدًا سيعرفه في هذه الحالة، أليس هذا معقولًا؟

قال المفتش بصوتٍ متعب: فعلًا ... هذا معقول جدًّا، وكان لا بد أن نتوقَّعه، ولا أدري كيف فاتنا هذا؟!

تختخ: على كلٍّ لم يضع وقتٌ طويل، وقد رسمت صورةً للجاسوس وهو متنكِّر في ثياب السيدة العجوز، وهي جاهزة عندي الآن.

المفتش: لقد خلعت ثيابي، ولكن سأقوم لأرتديها مرةً أخرى وأحضر إليك.

تختخ: ألا يمكن الانتظار إلى الصباح؟

المفتش: إن كل دقيقة لها أهميتها الآن، والموضوع خطير … ولا يجب أن نُضيِّع أي وقت.

تختخ: سأكون في انتظارك على السلم الخلفي للفيلا، وسوف أُجهِّز لك كوبًا من الشاي يُجدِّد نشاطك.

المفتش: وبعض البسكويت إذا أمكن، فأنا لم أتعشَّ حتى الآن …

ارتدى «تختخ» روبًا فوق البيجامة، ثم نزل إلى المطبخ متسلِّلًا على أطراف أصابعه حتى لا يُحس به أحد، ثم دخل إلى المطبخ، حيث أشعل البوتاجاز وأخذ يُعد الشاي ببطء؛ فقد كان هناك وقت طويل قبل أن يصل المفتش.

انتهى «تختخ» من إعداد الشاي، ثم صعد مرةً أخرى إلى غرفة العمليات وهو يحمله على صينية، فوضعه على المكتب، ثم اتجه إلى الباب الخلفي للفيلا حيث فتحه، ووقف في الظلام ينتظر حضور المفتش. وبينما هو يقف على السلم أحسَّ بشيءٍ ناعمٍ يتمسَّح بقدمَيه، وصوت «زنجر» وهو يلف حوله ويتمسَّح به، فقال له وهو يربت على عنقه: لقد نسيتك تقريبًا يا «زنجر» ولم تشترك معنا في مغامراتنا الأخيرة.

أخذ الكلب يُهمهم في هدوء، وكأنه يحتج على إهماله وعدم إشراكه في المغامرات، ثم سمع «تختخ» صوت موتور سيارة في أول الشارع، وبعد لحظات كان المفتش يجتاز باب الحديقة الخلفي ويصعد السلم، ومدَّ يده يُسلِّم على «تختخ» ويدخلان في هدوء إلى غرفة العمليات يتبعهما «زنجر» وهو يهز ذيله مُرحِّبًا بالمفتش.

أخذ المفتش — الذي بدا متعبًا — يرتشف الشاي ويقضم البسكويت وهو يستمع إلى «تختخ»، ثم قدَّم له «تختخ» الصورة التي أجرى عليها التعديلات بالأقلام والفرشاة قائلًا: هذه الصورة أقرب ما تكون إلى العجوز التي شاهدتها صباح أمس في الأهرام، وتبعتها حتى فقدت أثرها عند سينما مترو. وأعتقد أننا يجب أن نُوزِّع هذه الصورة مع الصورة الثانية، فسوف يكون من المفيد أن نُضيِّع على الجاسوس أية فرصة لخداعنا.

أخذ المفتش يتأمَّل الصورة فترة ثم قال: إنني أتوقَّع بالطبع أن تكون الصورة بعيدةً إلى حدٍّ ما عن شكل الجاسوس؛ فالصورة الأولى رسمناها من ذاكرة «عاطف»، وقد أضفت إليها الرتوش من ذاكرتك، فكلها صور من الذاكرة.

تختخ: للأسف إن هذا صحيح.

المفتش: ولكن على كل حال ليس أمامنا حل آخر، وهذه الصورة يجب أن تُوزَّع من الآن بعد طبع نسخ منها على جميع المطارات والموانئ في الجمهورية، حتى لا يُفلت الجاسوس.

تختخ: إنك تبدو متعبًا، ومن حقك أن ترتاح فترة …

المفتش: ليس في عمل الشرطة راحة، ولكني سوف أُعطي نفسي إجازةً أسبوعًا على الأقل إذا نجحنا في القبض على الجاسوس رقم ٣٣٣.

أخذ «زنجر» يهز ذيله ويدور حولهما، فقال «تختخ»: إن «زنجر» معترض على استبعاده من المغامرات الأخيرة، ومن الواجب علينا أن نجد له دورًا.

المفتش: معه حق.

تختخ: بالمناسبة، هل أستطيع غدًا أن أزور الشقة التي كان يُقيم بها الجاسوس؟ إنني لم أتمكَّن من تفتيشها جيدًا اليوم، وقد يكون من المفيد أن ألقي عليها نظرةً أخرى.

المفتش: من الممكن طبعًا أن تزورها، وقد وضعنا على باب المنزل مُخبرًا خاصًّا اسمه «مخيمر»، وسأعطيك ورقةً له ليسمح لك بالدخول.

وقدَّم «تختخ» للمفتش ورقةً كتب عليها إذنًا له بدخول شقة الجاسوس الهارب، وبعد دقائق غادر المفتش الفيلا كما دخلها من الباب الخلفي دون أن يشعر به أحد من النائمين، ثم دوَّى صوت الموتور في هدوء الليل، ومضت السيارة بعيدًا تحمل المفتش.

عاد «تختخ» إلى غرفته وبجواره «زنجر»، ونظر إلى المنبه وكانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحًا، ولكنه لم يجد في نفسه أي ميلٍ إلى النوم، فأمسك كتابًا عن الجاسوسية في الحرب العالمية الثانية، وانهمك في قراءته، ثم تذكَّر أن غدًا هو أول يوم في شهر أغسطس، ويعني هذا أن إجازته على شاطئ البحر ستبدأ غدًا، ولا بد من أن الأسرة قد جهَّزت الحقائب، وقام ونزل إلى الصالة، وفعلًا وجد الحقائب مرصوصةً في الصالة، فأسرع يُعِد حقيبته الصغيرة حيث وضع فيها بعض الكتب وأدوات الصيد، ثم صعد إلى غرفته وأخذ يُحاول النوم فترةً حتى استطاع في النهاية أن ينام.

عندما استيقظ «تختخ» في اليوم التالي، علم أن أسرته ستقوم برحلة إلى مرسى مطروح في الواحدة بعد الظهر، حيث يقضون الليلة في الإسكندرية، ثم يواصلون السفر في اليوم التالي. فكَّر تختخ قليلًا، وكان هناك وقت يكفي للذهاب إلى منزل الجاسوس لتفتيشه والعودة؛ وهكذا اصطحب معه «زنجر» ثم أسرع يستقل القطار إلى مصر القديمة، حيث كان يقع منزل الجاسوس، وقابل المخبر «مخيمر»، وأعطاه رسالة المفتش «سامي» ففتح له الباب.

كان المنزل يقع بجوار السور الذي يُحيط بقضبان القطار، وواجهته تطل على الشريط، ومدخله من شارع يمكن رؤيته من القطار.

فتح «تختخ» النوافذ، ثم أخذ يُفتِّش بدقة غرفةً غرفة، ولكنه لم يرَ شيئًا ذا أهمية في المنزل كله، إلَّا بعض الملابس الداخلية للجاسوس، فقرَّر أن يأخذها معه وفي ذهنه فكرة؛ أن يشم «زنجر» هذه الثياب فقد يعثر على صاحبها مصادفة ... وقال «تختخ» في نفسه: من يدري لعلها تكون ضربة حظ موفقة، ونصل إلى الجاسوس. وهكذا وضع الملابس في كيسٍ أحضره من المطبخ، وأخذ «زنجر» وانطلق إلى الشارع بعد أن شم «زنجر» الثياب. وعلى المحطة وطوال الطريق كان «زنجر» يجري هنا وهناك، فكان «تختخ» يظن أنه عثر على الجاسوس، فيقوم بالجري خلفه، ولكن دون أن يعثر على أي شيء ... إلَّا معاكسة بعض الكلاب.

وصل «تختخ» إلى المعادي، واتجه إلى منزله، وكانت الساعة قد أشرفت على الحادية عشرة، ووالده ووالدته والشغَّالة منهمكون في تعبئة السيارة، فقال والده: إنك لم تساعدنا في شيءٍ مطلقًا هذا العام، وتبدو منشغلًا كأنك مسئول عن كل مشاكل العالم.

قال «تختخ» وهو يحمل حقيبةً ثقيلة: إنني طبعًا لن أحل مشاكل العالم ... ولكني فعلًا مشترك في حلها ...

وبعد أن تمَّ إعداد السيارة حضر الأصدقاء «محب» و«نوسة» و«عاطف» و«لوزة»، ووقفوا مع «تختخ» يتحدَّثون ويتمنَّون له رحلةً موفقة، وقام «تختخ» بالاتصال بالمفتش «سامي» يسأله عن آخر الأخبار، فقال المفتش: ليس هناك أخبار جديدة، إلَّا أن «وفيق» بدأ يتحسَّن تدريجيًّا، وقد نستطيع استجوابه غدًا. أمَّا بالنسبة للجاسوس فليس هناك جديد عنه، وقد وُزِّعت صورته وهو متنكِّر مع صورته الأخرى على مختلِف الأماكن التي يمكن أن يتردَّد عليها أو يحاول السفر منها.

وبعد فترة وعندما أشرفت الساعة على الواحدة تحرَّكت السيارة يقودها والد «تختخ»، ووقف الأصدقاء الأربعة يُلوِّحون بأيديهم لـ «تختخ» ... ولـ «زنجر» أيضًا الذي كان يُخرج رأسه من نافذة السيارة ويُطلق نباحًا مرحًا؛ لأنه هو الآخر سيستمتع بالرمال والبحر بعيدًا في مرسى مطروح.

شقَّت السيارة طريقها بصعوبة في شوارع القاهرة المزدحمة، ثم بدأت تُسرع عندما بدأ الطريق الزراعي إلى الإسكندرية، وكان والد «تختخ» سائقًا ماهرًا، فمضت السيارة كالسهم على الطريق، ووصلوا إلى طنطا، وقرَّروا قضاء بعض الوقت في الاستراحة لتناول الشاي ...

كان «تختخ» مستغرقًا في أفكاره لا يكاد يتكلَّم، وكان يُفكِّر في أن هذه أول مغامرة يشترك فيها ثم لا يشهد نهايتها. ومضت فترة الراحة ثم تحرَّكت العربة مرةً أخرى، تحملهم جميعًا إلى الإسكندرية، فوصلوا إليها في نحو الساعة الرابعة، واتجهوا إلى سيدي جابر حيث توجد شقة لهم يؤجِّرونها شتاءً وصيفًا ...

انهمكت والدة «تختخ» والشغَّالة في تنظيف المنزل، في حين ذهب والده إلى السوق لشراء بعض الطعام، أمَّا «تختخ» فقد اختار أن يجلس في الشرفة مع «زنجر» يُفكِّر، ثم قرَّر أن ينزل ليتمشَّى مع الكلب على الكورنيش؛ فقد كان يحب هواء البحر والأمواج وهي تطارد بعضها بعضًا، ثم تتلاشى على الصخور. فمشى يملأ رئتَيه من النسيم و«زنجر» يجري حوله يتقدَّمه حينًا ويتأخَّر عنه أحيانًا.

بين الشك واليقين

قرَّر «تختخ» أن يعود بعد أن قضى نحو نصف ساعة يتجوَّل، وبينما هو يعبر رصيف الكورنيش إلى الرصيف الآخر، إذ بسيارة مسرعة تمر به قريبةً جدًّا منه، حتى اضطُر إلى التراجع إلى الوراء مسرعًا، ولكنه استطاع أن يُلقي نظرةً على من فيها، فخُيِّل إليه فجأةً أنه رأى داخلها سيدة ... تُشبه إلى حدٍّ بعيد الجاسوس رقم ٣٣٣ في تنكُّره. ارتفعت دقَّات قلب «تختخ» بشدة، وتبع السيارة ببصره وهو يحاول التقاط رقمها، ولكنها لم يتمكَّن، كل ما استطاع معرفته هو أنها سيارة سوداء ماركة «شيفروليه».

وقف «تختخ» مكانه مفكِّرًا وقد أخذت الخواطر تملأ رأسه؛ هل وصل الجاسوس إلى الإسكندرية؟ ومنذ متى وصل؟ وهل لم يستطع رجال الشرطة معرفة مكانه؟ وهل قُدِّر له أن يشهد نهاية اللغز الذي بدأ في المعادي، وقد ينتهي في الإسكندرية؟

عشرات الخواطر مرَّت برأس «تختخ» في سرعةٍ خاطفة. استأنف سيره وهو غائب عمَّا حوله تمامًا، حتى إنه تجاوز المنزل دون أن يدري، ولم يُفق إلى نفسه إلَّا وقد اقترب من محطة الترام، فعاد مرةً أخرى يشق طريقه في الزحام إلى المنزل ...

اجتمعت الأسرة حول مائدة الغداء، وظل «تختخ» صامتًا يُفكِّر، فقال والده: إنك منذ أيام صامت تُفكِّر، فهل من الممكن أن تشركنا معك؟

ردَّ «تختخ» في استحياء: آسف جدًّا لأنني لا أشترك معكم في الحديث، ولكن الحقيقة أنني مشغول فعلًا في حل لغزٍ مثير ...

الوالدة: كنت أظن أننا غادرنا الألغاز خلفنا في المعادي، فإذا بها تسبقنا أو تلحق بنا أو تصحبنا في السيارة إلى الإسكندرية.

تختخ: إنه لغز خطير، وقد طلب مني المفتش «سامي» أن أشترك معه وحدي دون الأصدقاء ...

الوالد: ألم ينتهِ اللغز بعد؟

تختخ: لقد انتهى اللغز، ولكن المجرم ما زال مطلق السراح، وأخشى أن يُفلت من رجال الشرطة ...

الوالد: ما دام اللغز قد حُلَّ، فدعك منه لتستمتع بإجازتك، ولا داعي لهذا الصمت المزعج، ودع المسألة بين يدَي رجال الشرطة.

تختخ: للأسف إنني الوحيد الذي شاهد هذا المجرم، ومن المهم جدًّا أن أشترك في مطاردته ... ومن المدهش أنه يُخيَّل إليَّ أنني رأيته اليوم على الكورنيش.

الوالد: مصادفة غريبة، ولكن في الغالب ليس هو المجرم؛ فمن المعروف في علم النفس أنه إذا ركَّز الإنسان تفكيره في البحث عن شيءٍ ما، أو بشخصٍ ما؛ أن يُخيَّل إليه أنه يراه ... وهو في الواقع يرى شيئًا أو شخصًا يُشبهه ... مثلًا إذا كنت في انتظار صديقٍ يلبس بالطو، فإن أي شخصٍ يأتي من بعيدٍ يلبس بالطو يُخيَّل إليك أنه هو ... وفي الغالب أنك كنت تُفكِّر في المجرم، فرأيت شخصًا يُشبهه فظننت أنه هو ...

تختخ: قد يكون هذا صحيحًا، ولكن مهما يكن فسوف أتصل بالمفتش «سامي» الآن وأخطره، حتى ولو كان الأمل واحدًا في المائة، فقط فسوف أحاول، ولن أُضيِّع الفرصة.

الوالد: أنت حر طبعًا، ولكن نرجو أن تنتهي من هذه المهمة سريعًا، حتى تستطيع التمتُّع بالإجازة.

عاد «تختخ» إلى البيت وانتهى من غدائه بسرعة، ثم قام إلى التليفون فطلب رقم صفر ثلاثة، ثم أدار رقم تليفون منزل المفتش «سامي» في القاهرة؛ فقد توقَّع أن يكون المفتش في مثل هذه الساعة في منزله، وقد صحَّ ما توقَّعه، ولكن المفتش كان نائمًا. تردَّد «تختخ» لحظةً ثم طلب من المتحدِّث إليه أن يُخبر المفتش «سامي» أن «تختخ» طلبه، ثم أعطاه رقم تليفونه بمنزلهم في الإسكندرية، وطلب منه أن يتصل به المفتش بمجرَّد استيقاظه ... ثم جلس بجوار التليفون ينتظر.

كان والد «تختخ» ووالدته قد قرَّرا النزول إلى المدينة لتناول القهوة في محطة «الرمل» وزيارة بعض الأصدقاء، فاعتذر «تختخ» عن مصاحبتهما وبقي وحده في المنزل في انتظار مكالمة المفتش. مضت ساعة تقريبًا فأحسَّ «تختخ» بالملل، وقرَّر أن يخرج إلى الشرفة، ولكنه لم يكد يتحرَّك حتى دقَّ جرس التليفون دقاته الطويلة التي تدل على مكالمة خارجية، فأسرع إليه، وكان المفتش هو المتحدِّث.

قال المفتش: أهلًا، هل بدأت إجازتك؟

تختخ: نعم منذ ساعاتٍ قليلة، ولكن يبدو أنني لن أقوم بها.

المفتش: لماذا؟! هل حدث شيء؟

تختخ: نعم ... في الحقيقة إنني متردِّد في إخبارك، ولكن يُخيَّل إليَّ أنني شاهدت رقم ٣٣٣ في سيارة سوداء على الكورنيش ... قد يكون هذا مجرَّد خيال ... أو كما يقول أبي إنه نوعٌ من الحالة النفسية التي تجعل الإنسان يرى غير الحقيقة، ولكنني على كل حال قرَّرت إبلاغك فقد لا أكون واهمًا ...

ولشدة دهشة «تختخ» قال المفتش: في الأغلب إنك لست واهمًا؛ فنحن أيضًا عندنا معلومات عن وجود رقم ٣٣٣ في الإسكندرية؛ فقد استطاع بعض ضبَّاط المباحث الجنائية القيام بتحرياتٍ واسعة، وقال بعض الأشخاص إنهم شاهدوا سيدةً تنطبق عليها الأوصاف التي لدينا متجهةً إلى الإسكندرية في سيارةٍ خاصة.

تختخ: نعم إنها سيارة ماركة «شيفروليه» سوداء، ولكني لسوء الحظ لم أتمكَّن من معرفة أرقامها ...

المفتش: في هذه الحالة سوف أحضر إلى الإسكندرية مع عددٍ من الضبَّاط، فلا بد من مطاردة الجاسوس قبل أن يُفلت منا إلى الأبد. هل تستطيع انتظاري في الإسكندرية؟

تختخ: وسوف أحاول إقناع والدي بالبقاء هنا يومًا أو يومَين؛ لأننا سنقضي الإجازة في مرسى مطروح هذا العام.

المفتش: بعد نصف ساعة سأكون مع رجالي في الطريق إلى الإسكندرية، وسنصل ليلًا، ونتصل بك في الصباح الباكر، وتستطيع أن تقول لوالدك إنني أريدك في الإسكندرية لمدة قصيرة.

وضع «تختخ» السمَّاعة وجلس قليلًا يُفكِّر، ثم قال لـ «زنجر» الذي كان يجلس تحت قدمَيه: لقد أحضرت معي ملابس الجاسوس الداخلية من باب الاحتياط يا «زنجر» ... ويبدو أنه سيكون لك دور في المطاردة المقبلة.

ثم قام ففتح حقيبته وأخذ الكتاب الذي كان قد بدأه في المعادي عن الجاسوسية، وجلس في الشرفة يقرأ، وقد تحفَّز للمغامرة المقبلة.

قُرب الساعة العاشرة عاد والد «تختخ» ووالدته، فوجداه جالسًا في الشرقة يقرأ باهتمام، فقال والده: كنا نتصوَّر أنك نمت أو خرجت ...

تختخ: لا هذا ولا ذاك؛ فقد اتصل بي المفتش «سامي» من القاهرة، وطلب مني البقاء في الإسكندرية يومًا أو يومَين، وهو يرجوك الموافقة على هذا الرجاء ...

الوالد: شيء مضحك ... لقد كنت أريد أن أطلب منك أن تتأخَّر يومًا أو يومَين في الإسكندرية؛ لأن هناك بعض الأعمال في انتظاري هنا، فطلباتنا إذن متوافقة ...

تختخ: عظيم جدًّا، الآن سأذهب لأنام، فسيكون أمامي غدًا عمل كثير.

استيقظ «تختخ» مبكِّرًا في صباح اليوم التالي وكان يحس بانتعاش، وبعد أن ارتدى ثيابه جلس في الشرقة يتأمَّل البحر، والشمس تصعد في الأفق مسرعةً كأنما هي على موعد، وكان «زنجر» يجلس بجواره يبصبص بذيله في نشوة، كأنما يُحس هو الآخر أنه مقبل على مغامرة شيِّقة ...

في الثامنة تناولت الأسرة طعام الإفطار، ثم نزل والد «تختخ» وبقي هو بجوار التليفون في انتظار مكالمة المفتش «سامي»، ولم يطل انتظاره؛ فقد دق الجرس وكان المفتش يتحدَّث: صباح الخير، إنني أكلمك من الإسكندرية في محطة الرمل ... هل أنت جاهز؟

تختخ: إنني جاهز منذ فترةٍ طويلة ...

المفتش: سنأتي لنأخذك ... فما هو العنوان؟

تختخ: ٢٤ شارع عبد اللطيف الصوفاني بجوار جامع سيدي جابر ...

المفتش: بعد ربع ساعة سنكون عندك ...

كانت الدقائق تمر بطيئة، فقرَّر «تختخ» النزول إلى الشارع ومعه لفة من الملابس الداخلية للجاسوس ومعه «زنجر»، فأخذ يتمشَّى على الرصيف فترة، ثم ظهرت سيارة المفتش فأسرع إليها ...

كان المفتش يبدو في أحسن حالاته، وقال لـ «تختخ» وهو يمد يده مصافحًا: لقد وضعنا للجاسوس كمائن في كل مكان، وفي المحطة البحرية حيث تُبحر السفن عشرات من رجالنا، ولا يمكن أن يفلت ...

تختخ: إنني أفكِّر أيضًا في أن تضعوا كمائن على الطريق الزراعي والطريق الصحراوي؛ فقد يُفكِّر الجاسوس في خداعنا والعودة إلى القاهرة وركوب الطائرة.

المفتش: لقد وضعنا هذه الكمائن فعلًا، المهم الآن أن يتحرَّك الجاسوس سريعًا حتى يقع ...

تختخ: إن عندي فكرة؛ لقد عثرت عند زيارتي الثانية لمسكن الجاسوس على بعض ملابسه الداخلية، وسوف أجعل «زنجر» يشمها، ثم أطوف به على البلاجات لعله يعثر على الجاسوس.

المفتش: إن هذا يستدعي جهدًا ووقتًا ... لا أظن أن الجاسوس سيتردَّد على البلاجات؛ فليس عنده وقت للفسحة، ولكن هناك شيئًا آخر؛ إن بعض رجالنا يطوفون بالفنادق

الهامة للسؤال عن سيدة بالأوصاف التي نعرفها. بالطبع سيكون هناك سيدات كثيرات لهن نفس الأوصاف، ويمكن «زنجر» أن يمارس نشاطه في الفنادق التي يُعثر فيها على سيدات موضع شبهتنا …

تختخ: هذه فكرة ممتازة، ولكن لعل الجاسوس نزل في شقةٍ خاصة.

المفتش: هذا ممكن، ونحن نعمل ما بوسعنا، فالإسكندرية مدينة كبيرة يسكنها أكثر من مليون، والعثور على شخص بين مليون شخص ليس مسألةً سهلة. كانت السيارة تسير مسرعةً على الكورنيش، و«تختخ» والمفتش يتبادلان الحديث، وفجأةً قال «تختخ»: لقد نسينا السيارة «الشيفروليه» السوداء، لماذا لا يُتابع رجالك السيارات التي من هذا النوع؛ إن العثور على سيارة بين عشرين أو ثلاثين ألف سيارة أسهل من العثور على رجل في مليون.

قال المفتش مقاطعًا: لم ننسَ ذلك؛ فبعض رجالي يطوفون بالجراجات للسؤال عن السيارات التي من هذا النوع وهذا اللون …

وصلت السيارة إلى مبنى مديرية الأمن في الإسكندرية، وكان المفتش «سامي» قد اختار غرفةً فيها لإدارة عملية القبض على الجاسوس، وكان فيها بعض الضبَّاط، حيث قدَّمهم المفتش إلى «تختخ» وعرَّفهم به، ثم جلسوا جميعًا يتحدَّثون، وكانت المكالمات التليفونية لا تنقطع من الأجهزة الكثيرة في الغرفة، وكانت كلها عن تحريات رجال الشرطة. وعلى خريطة لمدينة الإسكندرية كانت هناك أعلام يُحرِّكها أحد الضبَّاط عن تحرُّكات رجال الشرطة خلف الجاسوس، وفجأةً من بين الأحاديث التليفونية الكثيرة، قال أحد الضبَّاط للمفتش «سامي»: يبدو أن هناك أثرًا للجاسوس في أحد الأماكن …

قام المفتش فورًا إلى جهاز التليفون، وكان أحد رجاله يتحدَّث وسمع «تختخ» المفتش يقول: عظيم … معقول، سنكون عندك بعد لحظات، ثم وضع السمَّاعة والتفت إلى رجاله وإلى «تختخ» قائلًا: لقد عثرنا على أثر معقول؛ فهناك سيارة «شيفروليه» سوداء في جراج قريب … وصلت من القاهرة أول أمس ليلًا، وتركبها سيدة عجوز ويقودها سائق خاص، وقد خرجت السيارة من الجراج في الصباح، ولم تعد حتى الآن … هيا بنا.

تحرَّكت السيارة تُقِل الرجال، وجلس «تختخ» و«زنجر» في سيارة المفتش، فلمَّا اقتربوا من مكان الجراج تركوا السيارات في شارع جانبي حتى لا يلفتوا الأنظار إليهم، واتجه المفتش و«تختخ» و«زنجر» وأحد الضبَّاط إلى الجراج.

كان «الجراج» هادئًا، ويجلس أمامه رجلان من الواضح أنهما من عمَّاله، وكان الضابط الذي يلبس الملابس العادية، الذي عثر على السيارة مختفيًا وراء إحدى السيارات،

فلمَّا شاهد المفتش ظهر مسرعًا، وبعد أن أدَّى التحية قدَّم للمفتش تقريرًا موجزًا عن معلوماته التي لم تخرج كثيرًا عن المعلومات التي قالها في التليفون.

قال المفتش: سنقف جميعًا بعيدًا عن الجراج، حتى لا نلفت انتباه الجاسوس، فإذا ظهرت السيارة فسنتركها حتى تدخل الجراج، ثم نُطبق على من فيها …

كان للجراج بابان فأحاط الرجال بهما … ووقفوا بعيدًا وقد وضعوا أيديهم على أسلحتهم، وكانوا جميعًا يرتدون الملابس العادية، فلم يكن أحد ليشتبه فيهم …

قال «تختخ» للمفتش وهم يقفون بعيدًا: أقترح أن أدخل أنا و«زنجر» إلى الجراج، ونتجوَّل أو نختفي في إحدى السيارات الواقفة؛ فمن الأفضل أن يكون أحدنا قريبًا من الجاسوس …

المفتش: إن هذا الجاسوس خطر جدًّا، وأخشى أن يُصيبك مكروه …

تختخ: لا تخف، وسأختفي في إحدى السيارات الواقفة حتى لا ألفت الأنظار.

فكَّر المفتش لحظات ثم وافق، فأسرع «تختخ» إلى «الجراج» … ولكن أحد الرجلَين الجالسَين أمامه تصدَّى له، فأسرع المفتش وتفاهم مع الرجل، فاعتذر ودخل «تختخ» إلى الجراج ومعه «زنجر»، فاختار سيارةً كبيرةً وفتح بابها، ثم جلس هو و«زنجر» وقد أخفى نفسه، ولم يُبقِ سوى عينَيه تراقبان …

مضت مدة طويلة وسيارات كثيرة تدخل وتخرج دون أن تظهر «الشيفروليه» السوداء، وأحسَّ «تختخ» بالقلق، وبدأت الأفكار السوداء تغزو رأسه؛ فقد يكون الجاسوس قد تنكَّر للمرة الثانية حتى لا يعرفه أحد، وقد تكون هذه السيارة التي ينتظرونها ليست هي سيارة الجاسوس المتنكِّر، وقد يكون الآن في طريقه إلى مكانٍ آخر أو استطاع الإفلات من رجال الشرطة وغادر البلاد كلها …

كانت لفَّة الثياب الداخلية للجاسوس في يده ففتحها، وقرَّبها من أنف «زنجر» الذي أخذ يشمها بعمق وينظر إلى «تختخ» كأنما يسأله: متى أنطلق للبحث عن الرجل المطلوب؟ وأخذ «تختخ» يربت على رأسه ويُهدِّئه في انتظار اللحظة المناسبة لتركه …

ونظر «تختخ» في ساعته، كانت قد أشرفت على الحادية عشرة صباحًا، ومعنى هذا أنه قضى في جلسته نحو ساعتين، وأحسَّ بعضلاته تؤلمه؛ لأنه لم يتحرَّك مطلقًا خلال هذه الفترة، وسمع «تختخ» إحدى السيارات مقبلةً فرفع رأسه قليلًا، ولكنها لم تكن السيارة المطلوبة؛ فقد كانت من طراز «فيات» بيضاء اللون، وكان يقودها شاب أسود الشعر، وكاد «تختخ» يعود إلى جلسته لولا أن السيارة وقفت قريبًا منه، ثم أحسَّ بجسد «زنجر» يتوتر

فجأة، وإذا به يُحاول أن يُفلت من يده! أخذ «تختخ» يُحاول إسكات «زنجر» ولكن الكلب لم يتوقَّف، بل حاول القفز من نافذة السيارة. فلم يجد «تختخ» بُدًّا من إطلاقه.

وكانت السيارة «الفيات» قد وقفت ونزل راكبها، واتجه إلى الخارج وهو يحمل حقيبةً جديدة، وكم كانت دهشة «تختخ» عندما وجد «زنجر» يقفز بسرعة إلى الرجل وهو ينبح بشدة، ويدور حوله وهو مستمر في النباح! ولكن الرجل لم يلتفت إليه، بل استمر في سيره كأن شيئًا لم يحدث …

شيء ما في نفس «تختخ» أشعره أن «زنجر» يُريد أن يقول شيئًا، ففتح باب السيارة فجأةً ونزل، ولفتت هذه الحركة انتباه الشاب الذي يتبعه الكلب، فالتفت بسرعة خارقة وهو يضع يده في جيبه الخارجي، فلمَّا رأى «تختخ» عاد يستدير ببساطة ثم يواصل سيره. وكاد يخرج من الجراج لولا أن «زنجر» في هذه اللحظة قفز عليه وهو ينبح بوحشية، فأدرك «تختخ» أنه لا شك أمام الجاسوس، ماذا يفعل؟ إن الرجل مسلح، ولو اشتبك معه لما تردَّد الرجل في إطلاق الرصاص عليه، وإذا تركه فسوف يُفلت من الحصار، ولعلها تكون آخر مرة يراه فيها.

كان الرجل قد ألقى الحقيبة على الأرض، والتفت يُحاول الخلاص من الكلب وهو يسب ويلعن، فصاح «تختخ» في صوت مرتفع: يا حضرة المفتش … يا أستاذ «سامي». وفي لحظات ظهر رجال الشرطة أمام الجراج، فلمَّا شاهدهم الجاسوس أسرع إلى داخل الجراج مرةً أخرى، وأخذ يجري للخروج من الباب الآخر، وكان المفتش «سامي» قد ظهر فأخرج مسدسه، ثم أطلق منه رصاصةً بجوار الجاسوس، فلم يتردَّد الجاسوس وأخرج مسدسه هو الآخر، وأطلق رصاصةً على المفتش «سامي» …

كان «تختخ» في منتصف الجراج بين الجاسوس وبين المفتش، فأحسَّ بالرصاصتين وهما تُصفِّران بجانبه، وأدرك أنه قد يُصاب برصاصة، ثم سمع المفتش يصيح: انبطح على الأرض … وكان هو قد قرَّر ذلك فرمى نفسه على الأرض، ثم أخذ يتدحرج حتى اختفى تحت إحدى السيارات، وأخذ يُراقب الرصاص والمطاردة. كانت الحلقة تضيق على الجاسوس، ولكنه لم ييأس؛ فقد عاد مسرعًا إلى سيارته وهو يُطلق الرصاص في كل اتجاه، ثم دار بها دورةً واسعة، وحاول الخروج من باب الجراج الأمامي، ولكن رصاص رجال الشرطة مزَّق العجلات، فدارت العربة حول نفسها ثم اصطدمت بجدار الجراج، وقبل أن يتحرَّك الجاسوس حركةً أخرى كان الرجال قد أحاطوا به من كل جانب، وأخرجوه من السيارة كالفأر الذي وقع في المصيدة …

خرج «تختخ» من تحت السيارة يبحث عن «زنجر» الذي كان هو الآخر يُسرع إلى «تختخ»، فاحتضنه بإعزاز؛ فلولاه لكان الجاسوس — الذي تنكَّر للمرة الثانية وصبغ شعره — قد أفلت إلى الأبد. وأقبل المفتش يطمئن على «تختخ» الذي كانت ثيابه قد اتسخت تمامًا، فقال المفتش ضاحكًا وهو يربت على كتفه: لعلك ستأخذ علقةً ساخنةً من الوالدة …

فقال «تختخ»: لا بأس بعلقة ساخنة أو باردة ما دام الجاسوس رقم ٣٣٣ قد وقع …

المفتش: سنصعد الآن إلى المكان الذي يعيش فيه لتفتيشه، فالمهم هو أن تكون الوثائق معه ولم يُهرِّبها من البلاد.

وصعد «تختخ» مع المفتش إلى غرفة في بنسيون كان يسكنها الجاسوس، وأرشد هو رجال الشرطة إليها، ولم يطُل البحث طويلًا؛ فقد كانت الوثائق السرية قد وضعها الجاسوس في جيب سحري بإحدى الحقائب، وكان ينوي مغادرة البلاد عن طريق السلوم.

فقال «تختخ» معلِّقًا: إذن كان سيمر علينا في مرسى مطروح.

عاد «تختخ» إلى منزله في تاكسي بعد أن ترك رجال الشرطة مشغولين باستجواب الجاسوس، وكما توقَّع المفتش، قامت والدته بتأنيبه تأنيبًا شديدًا على اتساخ ملابسه بالوحل والشحوم، وقد تلقَّى «تختخ» حملة التأنيب وهو يبتسم، ويربت على رأس «زنجر» وهو يضع له كميةً من اللحم لم يُقدِّمها له من قبل …

وفي صباح اليوم التالي كانت السيارة تحمل الأسرة إلى مرسى مطروح، وكان «تختخ» يجلس في الكرسي الخلفي يضع يدًا على رأس «زنجر» ويُمسك بيده الأخرى إحدى جرائد الصباح، وكان مكتوبًا بها بالخط العريض …

القبض على أخطر جاسوس

وكان «تختخ» يبتسم في سعادة، وهو يتذكَّر المغامرة الخطيرة التي انتهت أمس نهايةً طيبةً برغم أن بدايتها كانت تُؤكِّد أنها لن تنتهي هذه النهاية … على الإطلاق.

هنداوي